صيد الجوازي والوعول

يطلق على المها والظباء والوعول لدى البادية اسم الجوازي. ولعل هذه اللفظة مأخوذة من لفظة الجوازئ. جاء في لسان العرب تحت مادة جزأ: ظبية جازئة: استغنت بالعشب الرِّطْبِ عن الماء، والجوازيّ: الوحش لتجزّئها بالرُّطْب عن الماء، وقول الشماخ بن ضرار:

إذا الأَرطى توسّدَ أبرَدْيه
خدودُ جوازئٍ بالرمل عين

لا يعني به الظباء كما ذهب إليه ابن قتيبة لأن الظباء لا تَجْزَأ بالكلأ عن الماء وإنما عنى البقر. ولكن في الواقع نجد أن الظباء تجتزئ بالعشب الرطب عن الماء في أماكن كثيرة من الجزيرة العربية ولذلك سميت بالجوازي. وقد ورد ذكر الجوازي في الشعر العامي كما في قول ابن لعبون:

سقى صوب الحيا مزن تهامى
على قبرٍ بتلعات الحجاز
يعط بها البختري والخزامى
وترتع فيه طفلات الجوازي

الوعل

صفاته وسلوكه. الوعل، بسكون العين أو كسرها أو ضمها، هو البدن، تيس الجبل. حيوان من جنس المعز الجبلية، له قرنان منحنيان كسيفين أحدبين، يصلان حول ذنبه من أعلاه. ويسمى النوع الموجود في شبه الجزيرة العربية وسيناء وصحراء مصر الشرقية وشرق السودان البدن وعيو وله أسماء أخرى كثيرة. وهو يعل باللغة العبرانية، واللفظان العربي والعبراني مشتقان من التوعل وهو الصعود في الجبال (المعلوف ١٩٣٢: ١٣٢).

وجمع الوعل أوعال ووعول ووعل، بضمتين، ووعلة بفتح فسكون. والأنثى أيضاً وعلة بفتح فسكون، وهي أروية،

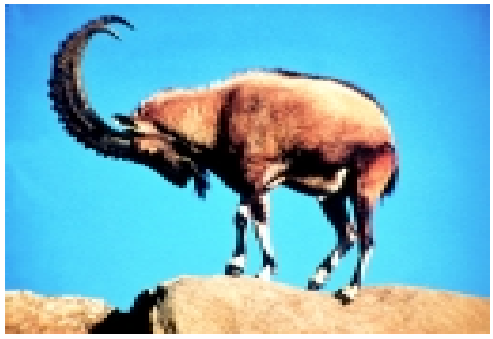

الصدع: الوعل القوي الفتي

وشاة، وجلمة، وسيافة ولا يسميها أهل البادية عنزاً. والذكر اليافع الذي يقل طول قرونه عن ٤٠سم يسمى أبا صده فإذا زاد طول القرون عن ذلك فهو بدن أو عود. والذكر المسن الذي وصلت قرونه إلى أقصى طول لها (حوالي ١٢٠سم) يسمى لدى أهل البادية الناخس لأن أطراف قرونه تنخس ظهره وتترك علامات واضحة عليه لكثرة احتكاك أطرافها المدببة به.

والصَّدّع من الوعول هو الفتِيُّ القوي، وقيل هو الوعل بين الوعلين الذي تسميه البادية أبو صده، والأعصم هو المعتصم بالجبل وقيل هو منها ما كان في ذراعيه (قائمتيه الأماميتين) أو في إحداهما، بياض وسائرها أسود أو أحمر، والأنثى عصماء. قال الشاعر:

والصدع الأعصم في شاهق
وجأبة مسكنها الوعر

الوعل المسن يسمى الناخس: تنخس أطراف قرونه ظهره

وقال الأعشى:

قد يترك الدهر في خلقاء راشية
وهناً ويترك منها الأعصم الصَّدَعا

وقال الأفوه الأودي:

والدهر لا يبقى على صرفه
مغفرة في جالق مرمريس

خلقاء: مؤنث أخلق أي أملس، والمرمريس مثله، وأراد بها صخرة ملساء. والمغفرة: الأروية إذا كان معها ولدها، والغفر ولد الوعل، والجمع أغفار.

وجاء في كتاب حياة الحيوان الكبرى أن الأروية هي الأنثى من الوعول، والجمع أراوى، وبها سميت المرأة. وقيل الأروى غنم الجبل، وفي طبعها الحنو على أولادها، فإذا صيد منها شيء تبعته ورضيت أن تكون معه في الشرك. وفي طبعه، أي الوعل، البر بأبويه، وذلك أن يخالف إليهما بما يأكلانه، فإذا عجزا عن الأكل مضغ لهما وأطعمهما. ويقال إن في قرنيه ثقبين يتنفس منهما، فمتى سدا هلك سريعاً. وما يذكره الدميري لا يخلو من خيال وشطط.

وقد وردت الأروى في الأمثال قالوا «إنما فلان كبارح الأروى». وذلك أن مأواها الجبال، فلا يكاد الناس يرونها سانحة ولا بارحة إلا في الدهر مرة. ويضرب هذا المثل لمن يرى منه الإحسان

تحتمي الوعول عادة بالجبال والأماكن الوعرة

بعض الأحايين، وقالوا «تكلم فلان فجمع بين الأروى والنعام». وقالوا «ما يجمع بين الأروى والنعام»، يضرب في الشيئين المختلفين جداً؛ إذ كيف يتألف الخير والشر. لأن الأروى تعيش في الجبال والمرتفعات الوعرة، والنعام يعيش في الصحاري المفتوحة.

والوعل معروف في شبه الجزيرة العربية منذ القدم، كما يوجد في سوريا والأردن وفلسطين، وشبه جزيرة سيناء، واليمن وعمان ومصر والسودان والحبشة. وهو حيوان مجتر عاشب من عائلة البقريات التي منها المها العربي

والظباء والأغنام والماعز والبقر الأهلي. وهو حيوان متين بنية الجسم، لونه بني مصفر أو داكن نوعاً، مع وجود علامات بيض وسود واضحة على قوائمه تسمى الحِجَل. ويختلف الذكر عن الأنثى في شكل الجسم وحجمه، فالذكر المسن قد يصل حجمه إلى ضعفي حجم الأنثى المسنة. ويمكن تمييزه عنها بسهولة، بقرونه الطويلة المحدودبة السميكة ذات البروزات الناتئة الواضحة، ولون فرائه الأدكن، ولحيته المميزة التي تتدلى تحت ذقنه.

واللون العام لجسم الوعل بني مصفر مع وجود علامات داكنة متفرقة، تختلف في التوزيع والمساحة التي تشغلها من الجسم من فرد إلى آخر، كما تختلف بين الذكر والأنثى. وإلى جانب اللحية المميزة التي يتمتع بها الذكر، هنالك سواد يغطي ظهره في المنطقة الصدرية، يمتد أحياناً إلى الخطم والذقن وجانبي البطن والكفلين، مكوناً خطاً مشوشاً غير محدد المعالم، يمتد على الصدر والكفلين. وطرف الذنب في الجنسين أسود اللون. والسطوح الداخلية للفخذين والردفين، وكذلك السطح السفلي للصدر والبطن، والسطوح الداخلية والخلفية للقائمتين الخلفيتين تحت الركبة، والسطوح الداخلية والأمامية للقائمتين الأماميتين، كلها بيض اللون. ويمتد البياض إلى منتصف حلق الإناث، التي تخلو من وجود الخط الأسود على الظهر والكفلين. وتوجد على السطوح الجانبية والأمامية للقوائم علامات رأسية بنية مسودة، أو سود اللون شديدة الوضوح والتباين، خاصة مع وجود البقع البيض اللون على الركب والعراقيب أعلى الحوافر. ويبلغ طول الوعل من ١٣٠ إلى ١٤٠سم، وارتفاع الحيوان عند الكتف من ٦٥ إلى ٧٥سم، وطول الذيل ٨سم.

وقرون الذكر البالغ المسن طويلة سميكة محدبة تحدباً شديداً، تشبه في شكلها السيف المعقوف. ويصل طولها في الذكور المسنة إلى نحو ١٢٠سم. وهي منضغطة جانبياً مع وجود عقد عرضية تسمى الحُبَره تبرز بوضوح على السطح الخارجي للقرن. وهناك حلقات واضحة جداً، تنتشر على طول القرن حتى طرفه في الذكور، لكنها أقل وضوحاً في الإناث، صغيرة القرون خاليتها من العقد. وقرون الإناث محنية إلى الخلف قليلا. وهي منضغطة أيضاً جانبياً مع وجود حلقات شريطية تمتد

للذكر المسن لحية وقرونه أطول من قرون الأنثى

٣٠سم إلى ٦٠سم، ويزداد تحدب القرن إلى الخلف بشكل واضح، ويتراوح طول اللحية فيها من ٣ إلى ٥سم. وعندما يصل عمر الذكر من ٦ إلى ٨ سنوات تستطيل قرونه جداً ليتراوح طولها بين أكثر من ٦٠سم إلى ١٠٠ سنتيمتر، وتزداد درجة تحدبها واستدارتها إلى الخلف بشكل واضح، ويزداد عدد العقد البارزة عليها جداً، ويتراوح طول اللحية فيها من ٥ إلى ٧سم. أما الذكور المسنة التي يكون عمرها ٩ سنوات أو يزيد على ذلك، فقرونها تصل إلى طولها الأقصى الذي قد يتجاوز ١٢٠سم، وتزداد استدارتها إلى الخلف حتى تلامس أطرافها ظهر الحيوان في المنطقة العجزية قريباً حتى طرف القرن، ولا توجد أي علاقة بين عدد العقد التي على القرون وبين عمر الحيوان.

ويزداد طول القرون ومعدل تحدبها وطول شعر اللحية في الذكر بزيادة تقدمها في العمر، فحتى عمر ٣ سنوات يكون طول القرن من ٢٥ إلى ٣٠سم، وهو محدب قليلاً إلى الخلف، مع وجود ٣ أو ٤ عقد بارزة عليه، وطول اللحية فيها حوالي ٢سم. أما الذكور الأكبر سنا، فيتراوح طول القرن فيها من أكثر من

وعل ذكر بالغ عمره من ٦–٨ أعوام

وعل ذكر بالغ عمره من ١–٣ أعوام

وعل ذكر بالغ عمره من ٣–٥ أعوام

وتحتك به كثيراً. وقد يصل طـول لحيته إلى ١٠سم.

ويمكـن تمييـز إناث الوعـول عن الذكور بـقرونها القصـيرة الخالية من النتوءات البارزة. ويتراوح طول القرون في الأنثى البالغة من ٢٠ إلى ٢٥سم فقـط. ويصل ارتـفاعها عـن سطح الأرض عـند الـكتـف من ٦٠ إلـى ٧٠سم. وليس لها لحية. ولون الجسم فيها متجانس بشكـل عام. ويمكن أن تتشابه الإناث البالغة عن بعد مع الذكور اليافعة التي تتشابه معها في حجم الجسم وطول القرون وشكلها العـام، إلا أنه يمكن التمييز بينها من عقود قرون الذكور ففيها عقدتان أو ثلاث عقد ليست في قرون الإناث.

وعل ذكر بالغ عمره يزيد على ٩ أعوام، ولا يتغير شكل القرون بعد ذلك مع تقدم العمر

وعل ذكر يافع عمره من ٧–٨ شهور، وأنثى بالغة عمرها يزيد عن عامين

ويكتسب شعر جسم الوعل لوناً يماثل لون البيئة التي يعيش فيها إلى حد كبير، مما يسهل اختفاء الحيوان عن أعين أعدائه، ولا يمكن لأحد أن يستدل على وجوده إلا إذا تحرك. ولذلك هناك اختلاف في لون شعر الجسم بين الوعول التي تقطن مناطق المملكة المختلفة، وهي صفة تكيفية مع البيئة المحيطة، فبينما نجد أن مجموعة الوعول التي تعيش في جبال طويق، بالقرب من منطقة حوطة بني تميم (محمية الوعول حالياً التي أنشأتها الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها) ذات شعر بني فاتح إلى بني، وهو لون يتجانس تماماً مع لون الصخور السائدة في المرتفعات التي تعيش فيها هذه المجموعة من الوعول، نجد أن لون شعر الوعول التي تعيش في الشمال هو البني المسمر، الذي يتجانس تماماً مع لون الصخور البركانية الداكنة السائدة في تلك المنطقة.

ولم تدرس مجموعات الوعول التي تعيش في مرتفعات عسير جنوبي غرب المملكة حتى الآن بدقة كافية، ولكن يبدو أن لون شعر الجسم فيها هو البني المصفر، مع كون الذكر أدكن لوناً من الإناث، والصغار التي لم تبلغ سن النضج الجنسي بعد. ولم يشاهد مثل

ألوان الوعول مقاربة لألوان الصخور

هذا الفرق في اللون بين الذكور والإناث في مجموعة الوعول التي تعيش في تلال الطويل بالشمال، ولون الشعر فيها بشكل عام هو البني المحمر، الذي تقل كثافته كلما اتجهنا إلى أعلى نحو الظهر. ويشبه لون الشعر في الوعول التي تعيش في جبل قراقر، لون شعر الوعول التي تعيش في تلال الطويل، إلا أن ذكورها البالغة أدكن لوناً من إناثها البالغة.

وحواس الوعول بصرها وسمعها وشمها قوية جداً ولذلك يسميها أهل البادية السمّع اللمّع. ويمكنها أن تشم رائحة الإنسان، وتتعرف على وجوده من مسافة كبيرة إذا كانت في اتجاه الريح. أما إذا كانت في عكس اتجاه الريح، فإنها قد لا تدرك اقترابه منها، ما دام يتحرك في هدوء وحذر وتجنب أن يحدث أي صوت مسموع.

تعتبر النمور والضباع والوشق (عناق الأرض) أهم الأعداء الطبيعية للوعول. كما تفترس الثعالب والقرضة (العنزة) والعقبان والبزاة الوعول الصغيرة. ولا يعتبر الذئب من بين المفترسات، التي تقتل الوعول عادة ربما بسبب القدرة الفائقة للوعول على تسلق الصخور

والمرتفعات الوعرة بسرعة كبيرة، فلا تستطيع الذئاب أن تلاحقها. كما أن الوعول تتخذ لنفسها مخابئ حصينة بين شقوق الصخور وتحت الحيود الصخرية، مما يجنبها التعرض لهجمات الذئاب أثناء نومها وراحتها.

لا تهتم الوعول البالغة بوجود الثعالب والكلاب الضالة. ويمكن القول إن الإنسان نفسه هو أعدى أعداء الوعول بآلات صيده النارية القاتلة، كما أن الأنشطة الإنسانية المكثفة في جوانب التنمية العمرانية والزراعية والصناعية وتسببت في تدمير كثير من المواطن الطبيعية للوعول، إلى جانب زيادة أعداد قطعان المواشي الأهلية، التي تنافس الوعول وغيرها من العاشبات الفطرية، على مصادر غذائها المحدودة. وكل ذلك كان له أثره في التناقص الشديد الملحوظ في أعداد الوعول المتبقية، وانحسار مناطق وجودها في المملكة العربية السعودية.

ومع اشتداد الحرارة في فصل الصيف، تحتاج الوعول إلى أن ترد المياه بمعدل أكبر، مما جعلها فريسة سهلة المنال للصيادين فنقصت أعدادها نقصاناً ملحوظاً. كما أن تحرك أهل البادية بقطعانهم بحرية وسهولة وراء الكلأ، وورودهم إلى المنطقة ساهم في سرعة جفاف المياه المتجمعة في هذه المناطق، مما أدى إلى هجرة ما تبقى من الوعول منها إلى حيث تجد ظروفاً معيشية أفضل. وبعد إعلان الحماية على جبل طويق بحوطة بني تميم بدأ عدد الحيوانات يزداد، ومن المتوقع، مع استمرار الحماية وتعاون أهالي المنطقة وزيادة أعداد الحيوانات فيها، أن تنتشر الوعول منها لتثرى مناطق انتشارها السابقة التي انحسرت عنها.

والوعول، شأنها في ذلك شأن غيرها من العاشبات، تقضي جزءاً كبيراً من وقتها اليومي في التغذي والرعي. وتعتبر استراتيجية الرعي عاملاً مهماً في استمرار حياة الوعول، وغيرها من الأنواع العاشبة التي تعيش في المناطق الجافة الحارة، تحت ظروف بيئية متطرفة، مثل التي تسود في معظم بيئات المملكة العربية السعودية. ففي مثل هذه البيئات ليس فقط هناك شح في مصادر الغذاء، ولكن على الحيوان أيضاً أن يتجنب التعرض للضربات الحرارية المميتة، وأن يحتفظ قدر الإمكان بسوائل جسمه لقلة المياه المتوافرة أو ندرتها. ويؤدي ذلك إلى أن يصبح الوقت المتاح للحيوان، لكي يحصل فيه على غذائه قصيراً جداً،

تبدأ الوعول نشاطها اليومي عند الفجر

خاصة في فصل الحرارة المرتفعة وشدة القيظ، حيث يضطر الحيوان إلى أن يقصر وقت تغذيته ورعيه على الوقت من اليوم الذي يكون فيه الجو أقل حرارة، وتكون نباتات المرعى أكثر احتواء على الماء، وما زال يقطر منها الندى، أي في الصباح المبكر قبل طلوع الشمس.

تبدأ الوعول نشاطها اليومي عند الفجر، فتهبط من المرتفعات متجهة إلى الوديان. وتقضي وقتاً قصيراً على المنحدرات أثناء هبوطها لخلو معظم هذه المنحدرات من النباتات. ورغم أنها ترعى ما يصادفها من هذه النباتات أثناء هبوطها على المنحدرات، فإنها تستمر في عملية الهبوط، متجهة إلى أعالي الوديان، حيث تبدأ في رعي أوراق أشجار السمر والطلح التي تسود فيها.

ويختلف وقت نشاط الرعي والتغذية في الوعول باختلاف الفصل من السنة. ففي فصل الصيف ينحصر نشاط الرعي خلال ساعات الصباح الأولى، وتعود الوعول إلى معاصمها حوالي الساعة الثامنة صباحاً أو التاسعة على أكثر تقدير، حيث تتجه جميع الحيوانات تقريباً خلال ساعة زمنية واحدة إلى السفوح المواجهة للشمال، لتستظل بالصخور الناتئة، أو تختفي

في فصل الشتاء تبقى الوعول في الجبال

داخل الشقوق والكهوف. وتظل الوعول في مخابئها حتى حوالي الساعة الخامسة بعد العصر، عندما تخف حدة الإشعاع الشمسي، وتبدأ درجة حرارة الهواء في الانخفاض نوعاً، فتخرج بعض الحيوانات لاستكمال الرعي، وتستمر في الرعي إلى ما بعد الغروب بفترة كما ترعى ليلاً في الصيف في الليالي المقمرة.

وفي فصل الخريف يمكن للوعول أن تستمر في الرعي خلال فترة الصباح إلى حوالي الساعة العاشرة أو الحادية عشرة قبل الظهر، قبل أن تلجأ إلى مخابئها. أما في الشهور الباردة من فصل الشتاء، لا سيما شهري يناير وفبراير، التي لا ترتفع درجة حرارة الجو فيها أثناء النهار عن حوالي ١٥°م، فإن الوعول تظل نشطة ترعى طول النهار. وتكون ذروة نشاطها خلال الفترة من طلوع الشمس، حتى الساعة التاسعة صباحاً تقريباً.

ويقتصر نشاط اللعب واللهو بين الصغار عادة على الصباح الباكر عند الفجر. ويمكن أن تلهو الوعول الصغيرة بالتناطح خلال منتصف النهار في فصل الشتاء. وليس من المعروف مدى النشاط الليلي للوعول غير أنها ترعى ليلاً في الليالي المقمرة. فمن المحتمل أنها ترعى

ليلاً أيضاً خاصة في فصل الصيف، وذلك قياساً على الضأن ذي القرون الكبيرة، التي هي قريبة الصلة بالوعول، وتعيش في صحاري أمريكا الشمالية، ذات الظروف البيئية المماثلة لصحاري المملكة العربية السعودية. وترعى هذه الحيوانات أثناء الليل في الصيف.

وبينما تنتقل الوعول إلى السفوح المواجهة للشمال بعد انتهاء الرعي في فصل الصيف طلباً للظل وبرودة الجو، فإنها تنتقل إلى السفوح المواجهة للجنوب في فصل الشتاء، لتستمتع بدفء الشمس طوال النهار. وهي تفضل الهضاب الحمر ذات الصخور الكبيرة في فصل الصيف حيث تكون أكثر شجراً وأوفر ظلاً وتتوافر فيها المياه. أما في فصل الشتاء بعد سقوط أمطار الوسمى فتفضل الوعول الجبال السوداء ذات الأحجار البازلتيه التي تسمح التربة الموجودة بينها بنمو غطاء نباتي جيد يوفر لها مراعي مناسبة تزيد عن حاجتها، خاصة أنها لا تحتاج لشرب الماء في فصل الشتاء.

وعندما ترعى الوعول فإنها تكون حذرة بشكل مستمر، كما أنها تجعل منها رقيباً يقوم بحراستها وإنذارها من أي خطر يقترب منها. ويتفرغ هذا الرقيب للحراسة ولا يرعى حتى تنتهي نوبة حراسته، ويأتي من يحل محله في المراقبة من أفراد القطيع، فيتوجه لأخذ نصيبه من المرعى. وترعى الوعول الأعشاب والحشائش وأوراق الأشجار، كما تأكل قمم الفروع الغضة والبراعم والأزهار والقرون، وربما القلف الحديث للأشجار. كما أنها تأكل أيضاً أوراق أشجار العشار ونبات الشري (الحنظل)، رغم احتوائها على مركبات شديدة السمية، إذ يبدو أن الوعول متعودة عليها فلا تضرها.

وتقطع الوعول في تحركها اليومي طلباً للغذاء مسافة تقدر في المتوسط من ٤ إلى ٦كم، بينما في فصل التزاوج تقطع الذكور مسافة تزيد عن ١٠كم في بحثها وراء الإناث.

تزاوجه. تعيش الذكور البالغة مع الإناث والصغار في قطيع مختلط أثناء فصل الخريف ويسمى القطيع جميلة كما في الظباء، ويكون ذلك في الجبال ذات الأحجار الصغيرة التي يتوافر فيها الكلأ بعد سقوط أمطار الوسمي. وخلال هذا الفصل تحدث الدورة النزوية للإناث، وتصبح مستعدة للتلقيح، وتتزاوج مع الذكور السائدة في القطيع. أما في فصل الصيف، بعد انتهاء موسم

التزاوج، فإن الذكور البالغة تنفصل عن القطيع وتنتقل إلى سفوح الجبال والهضاب الحمر التي تكون أوفر أشجاراً وأكثر ظلاً في فصل الصيف.

وفي غير موسم التزاوج، يكون تحرك الوعول بحثاً عن الغذاء والمرعى. ولا تختلف الذكور عن الإناث في نمط التحرك. أما في وقت التزاوج فإن الذكور لا تهتم بغذائها قدر اهتمامها بالبحث عن الإناث الجاهزة للتلقيح، وكثيراً ما تتحرك إلى مسافات بعيدة، وتنتقل من منطقة إلى أخرى بحثاً عن الإناث حيث تشاهد منفردة معتلية قمم الجبال التي توجد فيها، تستطلع ما حولها لتحدد أماكن وجود الإناث. وتفرز رائحة خاصة كما تصدر صوتاً خاصاً يجذب إليها الإناث. وقد تضعف صحة الذكور في ذلك الوقت من كثرة التجوال وإهمال الرعي. وعندما تفزع الوعول وتنطلق إلى سفوح الجبال فإنها تتحرك متتابعة في صف واحد، يقودها في العادة إحدى الإناث البالغة، ومن النادر جداً أن يقودها ذكر.

وتحدث الدورة النزوية عند الإناث في فصل الخريف، حوالي شهر أكتوبر غالباً حيث تتزاوج الإناث مع الذكور السائدة في القطيع. ويمكن أن تستمر عملية التزاوج حتى منتصف شهر نوفمبر، تحاول بعدها الذكور التزاوج مع الإناث اليافعة، مما يدل على أن الإناث تبلغ النضج الجنسي عند عمر عام أو أقل من ذلك. وليس من المعروف على وجه الدقة العمر الذي يبلغ فيه الذكر النضج الجنسي، ولكن يظهر من ملاحظة أن الذكور اليافعة تحاول أن تمتطي الإناث، أنها قد تصل بدورها إلى النضج الجنسي عند عمر عام.

ومدة الحمل في الوعول حوالي خمسة شهور ونصف الشهر. وتلد الإناث في بداية تكاثرها صغيراً واحداً. وفي حوالي ٣٠٪ من الحالات تلد توأمين، وفي حالات قليلة قد تلد ٣ توائم. وبوجه عام كلما تقدمت الأنثى في العمر، ارتفعت نسبة التوأمة في ولاداتها.

وعندما تحس الأنثى الحامل بقرب الوضع فإنها تبدأ في الانعزال عن القطيع، وتبحث لنفسها عن مكان منعزل آمن تضع فيه صغيرها، وترعاه في أول أيام حياته بعيداً عن الأعداء. وتستمر الأم مع صغيريها بضعة أيام حتى يتمكنا من متابعتها في سيرها. وبعد ذلك تعود الأم

مع صغيريها لتنضم إلى القطيع، وتعمل على أن تسير بخطى متمهلة حتى يمكنهما ملاحقتها. كما أنها تبتعد بهما عن الأماكن الوعرة والعقبات التي لا يستطيعان أن يتجاوزاها لضعفهما وصغر عمرهما.

ويتبع الصغير أمه حتى عمر ٨ أسابيع، ثم يأخذ في التباعد عنها تدريجياً. وتزداد المسافة بينه وبينها كلما تقدم في العمر، وتفطمه الأم عند عمر ٦ شهور. وفي العادة ينام الصغير ملاصقاً لأمه، وحتى عندما يبتعد عنها ليرعى وحيداً لبعض الوقت، فإنه يعود ليستريح بجوارها.

مواطنه. كانت الوعول واسعة الانتشار في شبه الجزيرة العربية قديماً، إذ عثر على رسوم قديمة لها محفورة بدقة على أنواع مختلفة من الصخور والأحجار، في شتى مناطق المملكة العربية السعودية. ومعظم الرسوم التي وجدت للوعول كانت محفورة على الحجر الرملي في منطقة الدرع العربي. والبعض منها محفور على الصخور النارية البركانية مثل تلك التي وجدت محفورة بدقة كبيرة على مستوى رفيع من فن الرسم في منطقة الحناكية مما يدل على أن من رسمها هم فنانون مبدعون حقيقة. وهناك رسوم قديمة أيضاً وجدت في منطقة كِلْوة، وفي منطقة هضب-حمر

آثار أقدام الوعول في جبال عرنان

الواقعة بين مدائن صالح وخيبر، وكذلك وجدت رسوم في مداين صالح، والجوف، وحايل، وجبة، وفي الجبال الغربية والجنوبية والغربية في منطقة عسير. ورغم أن الوعول في الزمن الحاضر لم تشاهد في منطقة حرة الحرة في الشمال، إلا أن هناك رسوماً قديمة لها توجد في قطاع لِسْ بحرة الحرة على صخور بازلتية في مدخل وادي كحلا في منطقة جبل عرنان. ويظهر في هذه الرسوم، إلى جانب الوعول، الظباء والإبل وبعض الأشخاص الذين يحملون قسيهم وسهامهم، أي أنهم من الصيادين القدامى. وما زالت الظباء موجودة، ولكن بأعداد محدودة، في منطقة حرة الحرة حتى يومنا هذا.

وهناك رسوم أخرى للوعول، محفورة على الصخور الجرانيتية على طول

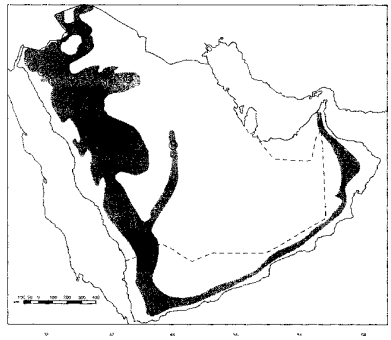

تحدد الأرقام المواقع التي شوهدت فيها الوعول خلال الأعوام ١٩٨٨-١٩٩٠م. والمناطق المظللة توضح انتشار الوعول في الجزيرة العربية قديماً

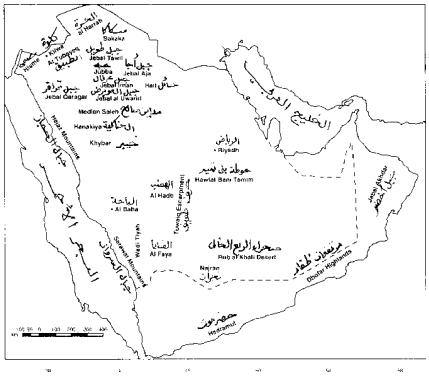

مواقع الجبال، التي وجدت بها رسوم محفور للوعول

جبل العويند. كما أن هناك صخرة ضخمة تقع على مسافة ١٠كم إلى الشمال من بلدة سكاكا بالجوف، يظهر عليها رسوم للأسود والإبل وبعض الأشخاص، إلى جانب الوعول. وهناك رسوم أخرى محفورة قديمة في الشمال الشرقي من جبل أجا في منطقة حائل، وكذلك في مصلى بمنطقة الهضب.

وتدل الرسوم التي سبقت الإشارة إليها، على أن الوعول كانت واسعة الانتشار قديماً في شتى أنحاء الجزيرة العربية، وبشكل خاص في المرتفعات الشمالية الغربية منها حيث كان يمتد نطاق انتشارها الطبيعي، من جرف طويق على امتداد الحدود السعودية-الأردنية، وفي جبل عرنان وجبل شمَّر، وجبل أجا في منطقة حائل، وكذلك في تلال الطويل في الشمال، وفي هضبة حسمى وجبل قراقر، وفي مدائن صالح وجبال طويق، كما شوهدت الوعول في منطقة نجران.

وقد ظهر من الدراسات التي أجريت لحصر انتشار الوعول في المملكة العربية السعودية في الزمن الحالي، أن أعدادها قد انحسرت انحساراً شديداً، شأنها في ذلك شأن الثدييات الأخرى، وإن كانت الوعول أحسن حالاً من غيرها من الأنواع، بسبب كونها تعيش في المناطق الوعرة، التي يصعب، وأحياناً يستحيل على الإنسان الوصول إليها، مما ساهم في الإبقاء على أعداد منها نجحت في الإفلات من نيران الصيادين المهرة. وأهم هذه الأماكن التي شكلت وسائل حماية طبيعية للوعول فيها توجد في جرف طويق

بمنطقة حوطة بني تميم وفي المنطقتين الشمالية والشمالية الغربية في هضبة حسمى، وجبال قراقر، على امتداد الحدود السعودية-الأردنية، حيث شوهدت فيها قطعان ما زالت تعيش بحالتها الطبيعية بأعداد كبيرة نوعاً، تتراوح من ١٠ إلى ٢٠ حيواناً في القطيع الواحد، وأحياناً أكثر من ذلك كثيراً. كذلك ما زالت بعض الوعول تعيش في جبل عرنان، وجبل أجا، وتلال الطويل، إلا أن حجم القطعان في هذه المناطق صغير، لا يتعدى بضعة حيوانات في كل قطيع.

من ذلك يمكن القول إن الوجود الحالي للوعول في المملكة العربية السعودية، يتركز بشكل خاص في المرتفعات الغربية للدرع العربي، كما توجد بعض القطعان المنعزلة في المنطقة الوسطى، والمنطقة الشمالية، والمناطق المتوسطة بين هاتين المنطقتين. ومن أهم هذه المجموعات، المجموعة المنعزلة المتبقية في جبل طويق بحوطة بني تميم التي أعلنت الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها الحماية عليها، وأنشأت فيها ما يسمى بمحمية الوعول.

وفي الماضي القريب كانت الوعول موجودة بكثرة في جبال طويق، رغم جفاف المنطقة، حيث تتوافر أشجار الطلح في المناطق المنخفضة بين المرتفعات الجبلية، مما يتيح لها الرعي والغذاء الكافي. إلا أن ازدياد أعداد الحيوانات الأهلية التي ترعى في المنطقة، أدى إلى تدمير المرعى، فضلاً عن تعرض الوعول إلى الصيد المفرط، في معظم أجزاء جبال طويق. وتدل بقايا الوعول، من عظام وجلود، التي تتراكم حول موارد المياه في هذه المنطقة، على أن الصيادين كانوا يتربصون بالوعول ويصطادونها عند وردوها المياه.

صيده. لحم الوعل من أجود اللحوم، لكن القليل منه يكفي فإذا تناول منه الإنسان قطعة قدر ثمرة التفاح أشبعته، وذلك لأن هَبْرَه مكثف التركيب، وعظام الوعل صلبة جداً ثقيلة الوزن. وعرف العرب الوعول منذ القدم، واصطادوها من شماريخ الجبال وذراها بسهامهم ونبالهم وشباكهم، ثم بعد ذلك ببنادقهم وأسلحتهم النارية. وصيد الوعل من أشد وأصعب المطاردة، حيث يحتاج إلى صياد يطاردها ويخاتلها في ذرى الجبال، وصفحات القمم العالية، ويباغتها في أماكن استراحتها بين الصخور.

وصيادو الوعول مثل صيادي الظباء، يتجنبون صيد الذكر الموجود مع القطيع في فصل الشتاء حيث يكون ضعيفاً هزيلاً، ورائحته غير طيبة. ولا يصيدون

الذكر في الشتاء إلا إذا كان منفرداً لا إناث معه، فيكون سميناً طيب اللحم، ويفضلون الأنثى الحائل، أي التي لم تحمل. ولا تصاد التي يتبعها أطفالها أو التي تكون دافعاً. أما في الصيف فإن الذكر يكون منفرداً أو مع مجموعة من الذكور ويكون سميناً طيب اللحم ويشكل هدفاً جيداً للصيادين.

والوعل أصعب الحيوانات اقتناصاً لشدة حذره، فهو كما تقول البادية «السمّع اللمّع». ومقره قمم الجبال، ولا يمكن اقتناصه إلاّ سيراً على القدم وتسلق الجبال والبحث عنه فيها. وأصعب شيء صيد الوعول في الشتاء حينما تأوي إلى هذه الجبال البازلتية الشاهقة الوعرة. وقد تنزل أحيانا إلى الجبال ذات الأحجار الصغيرة التي ينبت فيها العشب بعد سقوط المطر لكونها أدفأ. أما في الصيف فتكون في الهضاب ذات الصخور الحمراء الكبيرة لتوافر الماء والأشجار وكثرة الظلال في شعابها.

يتربص الصيادون بالوعول عند موارد المياه، ليأخذوها على غرة عندما ترد الماء الذي لا تستغني عن شربه، لا سيما خلال فصل القيظ. تتجه الوعول صيفا إلى الهضاب ذات المياه والأشجار والظلال، وعلى القانص تحديد الجبال التي سقط عليها المطر وذلك بتتبع الأودية ومسايل المياه لتحديد مكان الوعول. فإذا حدد ذلك وكان الوقت صيفاً أو قيظا كان الأمر أسهل له في اصطيادها، وذلك بالاتجاه في وقت مبكر من الفجر إلى العجام (الرملات المرتفعة التي لا شجر فيها) والقلات (النقر الصخرية الطبيعية التي يستنقع فيها الماء) التي تردها الوعول للشرب بالضرورة وكمن لها في الكفرة أو البروة وهي سقيفة أو عشة يختفي فيها القانص لمراقبة الفريسة عن كثب ثم إطلاق النار عليها واصطيادها. فإذا وردت اصطادها عن قرب. وقد تبنى البروة من حائط من الحجر بارتفاع متر وقطر متر ونصف يختبئ فيها الصياد بالقرب من الماء فإذا وردت الوعول اصطادها ببندقيته. وربما اتجه الصياد إلى الأودية والمنخفضات ومسايل المياه التي تكون فيها شجيرات السمر والطلح والسلم التي ترعاها. وعليه أن يلاحظ اتجاه الريح والتخفي وتجنب السير بشكل مكشوف. كما أن عليه مراعاة ملابسه فلا بد أن تكون

صياد يتربص بالوعول عند مضايق الجبال

مناسبة للتخفي ولا تكون بيضاء على الإطلاق وإلا سهل على الوعول رؤيته والهرب.

كما تُبْنى الكفر (مفردها كُفْرة) في الممرات الواصلة بين الجبال ويبقى فيها الصياد ببندقيته أو كلابه المدربة كما يحدث في السودان، ويذهب الآخرون لمطاردتها في الجبال. فإذا ضيق عليها في أحدها اضطرت للانتقال إلى الجبل الآخر بسلوك هذه الممرات فتصاد بسهولة. وهذه المصايد عبارة عن حائطين مبنيين بارتفاع يزيد عن المتر، يحصران بينهما ممراً متسعاً عند المدخل، ولا يلبث أن يضيق شيئاً فشيئاً ليأخذ شكل القمع. ولذلك كان يطلق عليها المصايد القمعية الجبلية، وتنتهي بمكان فسيح نوعاً ما، له شكل غير منتظم، قريب الشبه بشكل ورقة العنب، وهو مسدود لا فتحة خلفية له. ومتى دخلت الوعول في ممر المصيدة تبعها الصيادون حتى تصل إلى المكان المسدود، فلا تلبث أن تستسلم ويمسكوا بها. وهذه الطريقة أيضاً كانت متبعة قديماً في صيد ظباء الأدمي أو ظباء الجبال.

ومعظم هذه المصايد القمعية الجبلية كانت تبنى في المناطق الصخرية المفتوحة في شمال المملكة. وهناك على الأقل آثار خمس من هذه المصايد ما زالت موجودة على الأسطح المستوية لتلال

مكمن قناصة لصيد الوعول في حائل

الطويل، وفي وادٍ يجري بين هذين التلّين. وتظهر إحدى هذه المصايد القمعية في رسم قديم محفور على الصخور، وبجوارها يظهر الوعل، مما يدل على أنها كانت تستخدم لصيده. وفي بعض هذه الرسوم القديمة المحفورة، يظهر الوعل فيها وإلى جانبه الرماح، مما يدل على أن الرماح كانت من بين الأدوات المستخدمة لصيد الوعول آنذاك.

وهناك رسوم أخرى في تلال الطويل المنعزلة على الطرف الشمالي لصحراء النفود، منها رسوم قديمة وأخرى حديثة. وتصور الرسوم القديمة صيد الوعول بالسهام والقسي، بينما يظهر في أحد الرسوم الحديثة الصياد واقفاً على ظهر شاحنته الصغيرة (الوانيت)، وهو يصوب بندقيته على أحد الوعول الهاربة أمامه.

ولّما كانت الجبال التي تأوي إليها الوعول مختلفة من حيث الشكل والعلو

من منطقة إلى أخرى، فإن القانص الماهر يتبع طـريقة في الصيد تتـناسب مع كل نوع من تلـك الجبال. فإذا كانت الجبال المراد الاقتناص فيها قطع، أي متفرقة مع قربها من بعضها، فإن القانص يتجه إلى المنطقـة التي تفصل بين كـل جبل وآخر إلى أضيق نقطة فيها، ذلك أن هذه المنطقة عادة ما تكـون رملية أو مغطـاة بحجارة صغيرة تتخللها الرمال التي تترك الوعول فيها آثارها عند انتقالها من جبل إلى آخر، فإذا وجد الأثر حـاول أن يتأكد هل هو قديم أم جديد، وما إذا كانت الوعول لا زالت في الجبل أم انتقلت مـنه إلى جبل آخر وذلك بأن يبحث في النقاط الأخرى مع الجبال المحيطة به. فإذا كانت قد انتقلت منه إلى جبل آخر، ذهب إلى الجبل الذي اتجهت إليه وكرر عملية التأكد، ذلك لأن الوعول لا تنتقل من جبل لآخر، وخاصة في الجبال المتـفرقة عن بعضها البعـض، أي القطع، إلا فـي الليل أما في الـنهار فإنها لا تفعـل ذلك إلا مضطرة كتعقب القانص لها أو خشية من الحيوانات المفترسة وخاصة النمر، أو أن تكون الأرض خالية لا إناس فيها ولا حيوانات مفترسة. وعليه ملاحظـة جدة الأثر أو قِدمه عن طـريق ملاحظة هبوب الرياح وتـساقط المطر إذا كان الوقت ممطرا أو ما دبَّ عليه من آثار الحشرات والـقوارض التي لا تخرج إلا ليلاً كالفأر والجربوع.

فإذا حدد الجبل الذي تكون فيه وكان معه رفاق فإن رفاقه يتوزعون على مناطق الالتقاءات الجبلية، التي تـسمى المقاطع ومفردها المقطاع ويتخفون فيها، ويصعد واحد أو اثنان منهم إلى المـناطق العالية في الجبل، ولا يهم في هذه الحالة أكان اتجاه الريح معه أم ضده، لأن طريق هربها وخاصة أقـرب نقطة الـتقاء مع الجبـال المحيطة به قد رصده واحد أو اثنان من الصيادين، أما إذا كان وحيداً فإن كثيراً من القنوص، وخاصة إذا كانت الجبـال صغيـرة وعرف مكمن الوعـول في أي واحد منهـا، يضع في المقاطع مـخيالاً كقطعة قماش في رأس عود حتى تهاب الوعـول من الهـرب عبـره إلى الجبـل الآخر، كما إن عليه أن يراعي اتجاه الريح حتى لا تشمه الوعول فـتهرب. كذلك يكون القانص حذراً في مشيه فلا يسير في الارتفاعات والصخور المكشوفة وإنما يتخفى بـينها ويكشف كل جزء مـقابل من الجبل بهدوء وبطء خاصـة أن ألوان الوعول مـقاربة لألوان الـصخور، ولا يمكن تمييزها إلا من قرب أو إذا تحركت فلا ينكشف لها ولا تراه عن بعد. كما أن عليه أن يمشي بتؤدة ولا يصدر صوتاً،

ويختار الحجارة القوية الثابتة لوضع قدميه فلا تنزلق به ولا تصدر صوتاً تسمعه الوعول لحدة سمعها فتهرب. فإذا ما رآها، عليه إذا كانت بعيدة أن يحدد اتجاهها في مرعاها وانتقالها ويختفي حتى يصل إلى المنطقة التي رآها متجهة إليها.

وقد تكون الوعول في الجبال القطع، أي الجبال المتفرقة عن بعضها، ولا يعرف القنوص مكان وجودها على وجه التحديد. عند ذلك يشعل القنوص ناراً بين الجبال الكبيرة ويبقون جبلاً واحداً صغيراً لا يشعلون النار في القطاع المؤدي إليه فتذهب الوعول إلى هذا الجبل الصغير من خلال المقطاع، فيأتي القنوص ويطبقون عليها ويصيدونها أو يصيدون أغلبها بسهولة.

وبالضرورة فإن الصياد يكون دوما حذراً في مسيره وملبسه وكشفه للمنطقة التي هو فيها قبل الانتقال إلى غيرها. وإذا كانوا أكثر من شخص فإن الأخف وزناً بينهم الذي يستطيع التسلق والسير في الأماكن الوعرة يتجه إلى أعلى الجبل، ومن كان أقل قدرة كمن في الالتقاءات الجبلية (المقاطع) في الكفرة أو البروة المناسبة، فإذا لم يصطد من كان في أعلى الجبل اتجهت الوعول بالضرورة إلى أحد رفاقه في المقاطع.

وعلى قانص الوعول أن يعرف أن لجميلة الوعول رقيبه لا يرعى وإنما مهمته مراقبة المنطقة حتى ينبّهها للخطر إذا رآه فترعى في أمان وهو عادة من صغار الإناث أو صغار الذكور، ويكون موقعه في أعلى منطقة في مكان الرعي. لذلك على القانص أن يحاذر من أن يراه الرقيبه. كما أن لكل جميلة وعول قايده، وعادة ما تكون من الإناث الحيّل (أي التي لم تلقح بعد) فيعمد القانص الخبير إلى اصطيادها أولاً حتى يتمكن من اصطياد غيرها. كما أن من طبيعة الوعول أنها لا تعاود كالظباء، أي أنها لا تقف معترضة بعد الهرب لتنظر خلفها للتحقق مما أثارها وإنما تستمر في

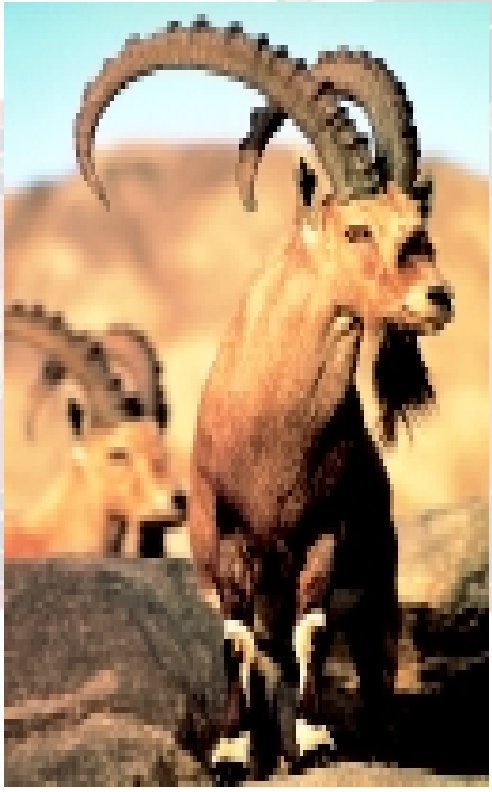

هربهـا حتى تأمن فـتعاود الرعي. ومـن الصعب على القانص أن يعيد إطلاق النار عليهـا إذا كان هربها انحدارياً مـن أعلى الجبـال لأنها سريـعة وتهرب فـي شكل متعرج لا يمكنه من اصطيادها، ولكن ربما تكون المهمة أسهل إذا كان هربها صعوداً في الجبل، لأنها تكون أبطأ كثيراً فيستطيع الماهر في الرمي (البواردي) اصطياد أكـثر من وعل واحد في هذه الحالة.

ولما كانت الوعول كبيرة الحجم والجبال صعبة المسالك فإن القانص إذا اصطاد منها واحداً أو أكثر، يقوم بعد إخراج الـكرش والمصران بتـقطيع الوعل إلـى عدة أجزاء ليسهل عليه نقلها على دفعات إلى أسفل الجبل. أما إذا كان المـنحدر حاداً نوعاً ما فإن بعـض القنوص يقـومون بربط رأس الوعل إلـى يديه ورجلـيه بصورة تجـعله متكـوراً، ويأتي إلى أقـرب نقطة أسفـله وتُفضي إلى تكوين صخري واحد ويتركه يتدحرج كأنه كرة. ويكرر العملية إذا اصطاد أكثر من وعل. فـإذا توقف جسم الوعل المتـكور لاصطـدامه بصـخرة في طريـق تدحرجه نـزل إليه ودحرجه مرة أخرى. ولكن يلاحظ أن هذه الطريقة قد تؤثر على اللحم مـن قوة الاصطدام بالصـخور لذا يفضل إنزال الوعول المصيدة واحداً واحداً أو مقطعة إلى أجزاء سهلة الحمل.

وتعتبر الوعول من الطرائد ذات القيمة العالية، التي تكفـل الغذاء لعدد كبير من الناس، وتغني من الضيق وتشبع المسغوب، ومما يدل على ذلك القصة التالية.

قدم ذياب بن طلاع الشمري، وهو من سكان سويـق غضور بجبل رمان، إلى أهلـه من سفر. وكـان من عادات الناس يـومذاك إذا قام أي واحد مـنهم بمشروع معين، كبناء بيت أو حفر بئر أو غيرهـما، أن يساهم جيـرانه بمساعدته بمختلف ما يستطيعون تقديمه. ومن هذه الأمور البديهية أن يدعوه جيرانه الواحد بعد الآخر، بتقديم وجبة طعام الغداء أو العشاء أو كليهما معاً لهذا الجار وعماله. ويعتبر من لم يقم بهذا الواجب قد ارتكب عيباً. وتناوب الجيران بهذا العمل بالدور تسمى دايره. وحين قدم ذياب من سفر، لم يبـق إلا اثنان من الجيـران، قبل أن يصله الدور، في الوقت الذي لا توجد أي وجبة طعام في منزله، وتبيت زوجته وبناته على الـطوى في أغلب الليالي، سوى قليل من الدقيق تصنع منه الزوجة لبناتها الصغار رغيدة رقيقة. وهذه المناسبة تحتاج إلى وليمة، تـقدم لحوالي خمسة عشر رجلاً أو أكثر. فهرع من وقته على قدميه للبحث عن أي طعام يمكن تقديمه في هذه الوليمة.

وكان النـاس في ضيق شديـد وندرة للمواد الغذائية، إلا عند فئة من التجار في القرى والبلدان الواقعة حول الجبل، الذين يبيعون ما لديهم من الطعام بأسعار عالية، بالنقود الذهبـية والفضية نقداً. ولم يكن مع ذياب أي نقد، وإنما يـريد ما يحتاجه من الطعام بالدَيْن، فتوجه إلى أولئك التجار في إحدى البلـدان المجاورة، وطرق باب أحدهم وطلب منه ثلاثة أصواع من الحب بأي ثمن، فاعتذر إليه، ومر بالثاني والثالث والرابـع والخامـس فلاقـى منـهم نفـس الإجابة. عندئذ ضاقـت عليه الدنيا على رحبها، وعـاد مكسور الخاطر، وقـرر أن ينحر بعيره، الذي يسنى عليه ويسقي نخله، وعلى الله ثم على هذا البعير مصدر رزقه.

وفي طريق عودته إلى أهله على قدميه مسافة حوالي ثلاثين كيلا، أنهكه الظمأ في جمرة القيظ، فعرج على عين ماء في صفحة جبل رمان ليشرب، وكانت العين داخل تلعة متعرجة. وعندما دخل في مدخل التلعة في منتصف النهار، واشتداد حرارة الشمس، سمع حول العين أصواتـاً غريبة، ليست بأصوات آدمية، تستمر وتنقـطع، فخاف على نفسه، سيما وأنه ليس معه من السلاح سوى خنجر في حزام بطنه. وبدأ يتنصت حيناً، ويختلس النظر حيناً آخر، ليتأكد من مصدر تلك الأصوات. وحينما أطل على العين، وإذا بوعلين كبيرين قد تناطحا حول الماء، واشتبكت قرونهما اشتباكاً لم يستطيعا الفكاك منه، وبقيا يتعافران ويتداوسان حتى أُجهدا. فأسرع إليهما وذبحهما، ثم رمى عليهما عباءته وانطلق مسرعاً إلى أهله يسابق الريح، وأحضر جمله وزوجته لتساعده على حملهما على الجمل. وعندما وصل إلى منزله، أخذ أحدهما على جمله واتجه به إلى أحد التجار الذين اعتذروا له ضحى ذلك اليوم، فأهداه إليه، بحيث أعطاه الـتاجر مقابل ذلك ثلاثة أصواع من حب القمح الصلب (اللقيمي)، فأحضرها في الحال إلى زوجته، حيث هرستها وطحنوها مع كامل الوعل الثاني وجبة لتلك المناسبة. وقد فزع الله لهذا الإنسان الكريم حين خذله الناس.

ذكره في مأثور القول والأدب. وذكر أبو سويلـم في كتابه الطبيـعة في شعر العصر العباسي الأول أن الوعول كانت أيضاً تطارد بكلاب الصيد، إذ إن الشاعر أبا نواس الشهير بطردياته أراد أن يظهر قوة كلابه وصلابتها وسرعـتها وصبرها عند الشد، وهي تنازل وعولاً صلبة ممنعة في شوامخ الأطواد، ومهارتها في تسلق قلل الصخور حيث قال:

لمـا رأيت الـلـيل مـنشـق الحـجب
عـن سائـر الغـرة مشـهور الـنقـب
نازلت عصـم الوحش عنا من كـثب

من كل أحوى اللون مبيض الذنب
يهتز عند الشد بل والمنجذب
هزك بالكف حساما ذا شطب
كأنما يطرف من بين الهدب
بجمرتي نار بكف محتطب
ما كان إلا جولة الأروى الشغب
ووثبة التيس بأقراح الحدب
حتى انثنى مختضباً وما خضب
من مغرز إلى عجب الذنب

وقال النمر بن تولب يصف صياداً مختبئاً في قترة يراقب الوعل، وقد أعد أسهما في كفه، وعندما تهيأت له الفرصة، أرسل سهمه فأصاب نواهق الوعل وفمه ونفذ فيه:

أتاح له الدهر ذا وفضة
يقلب في كفه أسهما
وراقبه وهو في قترة
وما كان يرهب أن يكلما
فأرسل سهماً له أهزعا
فشك نواهقه والفما

ويتتبع صخر الغي صائداً يكسب لأبيه الشيخ الذي تحنت ضلوعه واحدودب ظهره، جائعاً ألم به الشتاء، فابنه يحميه من الأذى، أما في الصيف فيبحث له عن الثمر، وهو قد نذر نفسه لذلك، فلما رأى الوعل تعجب منه مستبشراً، فهو عظيم سمين. وأخذ يحدث نفسه قائلاً: لو استطاع صيد هذا الوعل لعاش شيخه بلحمه حتى موسم الخصب، ورماه بسهم واسع النصل، فأرداه صريعاً، واستغاث بأخيه، ليبادره بسكين يذبح هذا الوعل. قال:

أتيح له يوماً وقد طال عمره
جريمة شيخ قد تحنَّب ساغب
يحامي عليه في الشتاء إذا شتا
وفي الصيف يبغيه الجنا كالمناحب
فلما رآه قال لله من رأى
من العصم شاة قيله في العواقب
لو ان كريمي صيد هذا أعاشه
إلى أن يغيث الناس بعض الكواكب
أحاط به حتى رماه وقد دنا
بأسمر مفتوق من النبل صائب
فنادى أخاه ثم طار بشفرة
إليه اجتزار الفعفعي المناهب

جريمة: كاسب، المناحب: الذي عليه نذر، مفتوق من النبل: يعني سهماً واسع النصل، صائب: قاصد، اجتزار: قطع، الفعفعي: الخفيف. ويصف أبو الطيب المتنبي في إحدى قصائده رحلة صيد يتعرض فيها لصيد الوعل بالسهام فيقول:

وأوفت العذر من الأوعال
مرتديات بقسيّ الضال
نواخس الأطراف للأكفال

يكدن ينفذن من الآطال ... البري تعمل منه القسيّ، شبَّه قرون الوعول
لها لحى سود بلا سبال ... المنعطفة بقسى مأخوذة من خشب السدر.
تصلح للإضحاك لا الإجلال ... الأطراف: أطراف القرون، الآطال:
كل أثيث نبتها متْفال ... الخواصر، أي أن أطراف قرونها تنخس
لم تعد بالمسك ولا الغوال ... أكفالها، وتكاد لطولها تنفذ من
ترضى من الأدهان بالأبوال ... خواصرها، السبال: ما أحاط بالشفة العليا
ومن ذكي المسك بالدمال ... من الشعرة، يقول إن لحاها تدلت من
لو سرحت في عارض محتال ... أعناقها، وهي لا تتصل بالسبال. وهي
لعدها من شبكات المال ... لحى تجعلها مثارا للضحك، ولا تكسبها
بين قضاة السوء والأطفال ... وقاراً، الأثيث من الشعر: الكثيف الملتف،
شبيهة الإدبار بالإقبال ... المتفال: المنتن، المسك والغوالي: ضربان
لا تؤثر الوجهَ على القذال ... من الطيب، الدمال: زبل الدواب. يعني
فاختلفت في وابل نبال ... الشاعر أن للوعول لحى كثيفة الشعر منتنة
قد أودعتها عتل الرجال ... الريح طيبها البول والدمال وليس المسك
في كل كبد كبدي نصال ... والغوالي. هذه اللحى الكثيفة لو كانت
فهن يهوين عن القلال ... ممشطة على وجه رجل محتال لاحتال بها
مقلوبة الأظلاف والإرقال ... لنهب المال، لأن ذا اللحية العظيمة يُظَن
يرقلن في الجو على المحال ... به الخير ويؤتمن، فإن كان محتالاً فاقد
في طرق سريعة الإيصال ... الضمير سهلت له خيانة الأمانة.
ينمن فيها نيمة المكسال ... العتل: القسيّ الفارسية، النصال:
على القفا من عجل العجال ... جمع نصل، وهي الحديدة المركبة في
لا يشتكين أثر الكلال ... السهم، كبدها: وسطها، وكبد النصل:
ولا يحاذرن من الضلال ... ما غلظ منه، والمعنى أن الرماة قد أثخنت
الوعول بالجراح وأدمت أكبادها. يهوين:
يسقطن من أعالي الجبال، القلال: جمع
قلة وهي رأس الجبل، الإرقال: ضرب
من العَدْو، المحال: جمع محالة، وهي

الفدر من الوعول: ما توقف عن الضراب بعد انتهاء موسمه الذي يبدأ من منتصف أكتوبر وينتهي في فبراير، واحدها فادر وفَدَر وفدور، الضال: شجر السدر

فقار الظهر. يعني سقطت هذه الوعول من رؤوس الجبال منحدرة على ظهورها وقد ارتفعت أظلافها إلى أعلى، فكأنها تعدو على فقار ظهرها في طرق تسرع بإيصالها إلى الأرض، فتبدو وكأنها تنام عليها نومة الكسالى.

إلى جانب ما جاء في الشعر العربي عن صيد الوعول، فقد أكثر الشعراء من وصف الوعول والتشبيه بصفاتها الحميدة. قال الشاعر حميد بن ثور يدلل على جمال محبوبته بأنها لو ظهرت لوعل قد اعتصم بذرى الجبل وهجر السهل لنزل إليها مشدوداً بجمالها غير عابئ بالرماة الذين يتربصون به الدوائر:

فلو أنها كانت بدت يوم حية
لمنعطف القرنين وعر مطامره
من الهائبات السهل في مشمخرة
بحيد وعول يأمن القوم فادره
أتاها ولو قام الرعاة وساقه
حبال الصبا حتى تحين مقادره

كما وجد الشعراء في مشية الوعول مجالاً لتشبيه مشية الخيل ووثوبها ونشاطها بها في السرعة. قال ذو الرمة:

إذا الخيل من وقع الرماح كأنها
وعول أشارى والوغى غير منجل

أشارى من الأشر، وهو النشاط. وبالوعول ضرب الشعراء المثل في المنعة والتحصن، حيث إنها ترتقي قمم الجبال، يقول جرير في مدح قومه:

ولو علقت حبل الزبير حبالنا
لكان كناج في عطالة أعصما

الناجي: الوعل، الأعصم: الذي في ذراعيه أو في أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر، عطالة: جبل بالبحرين.

وقد أدرك الشعراء كما ذكر أبو سويلم أن الوعول مهما كانت قوتها ومنعتها، باعتصامها في ذرى الجبال الوعرة، لا تنجو من الدهر ونكباته، وتلحقها يد الصياد، ويأتيها الموت بكل سهولة، شأنها في ذلك شأن أوهى الحشرات، وأضعف المخلوقات. قال ديك الجن في قصيدة يرثي بها زوجة جعفر بن علي الهاشمي:

نغفل والأيام لا تغفل
ولا لنا من زمن موئل
والدهر لا يسلم من صرفه
أعصم في القنة مستوعل
يتخذ الشعرى شعاراً له
كأنما الأفق له منزل
كأن بين شناظيرها
بارقة تكمن أو تمثل

الشعرى: كوكب نيِّر يطلع بعد الجوزاء. شناظير الجبل: أطرافه وحوافه.

وقال بشر بن أبي خازم يصف وعلاً يعتصم في جبة أو شوط من جبل طيئ

ذي الكهوف، ورغم ذلك فهو ليس أكثر أمناً في ملجـئه المنيع من جار أوس بن حارثة:

فـمـا صـدعْ بـجـبـة أو بـشـوط
عـلـى زلـق زوالـق ذي كـهـاف
تـزل الـلـقـوة الـشـغـواء عـنـهـا
مـخـالـبـهـا كـأطـراف الأشـافـي
بـأحـرز مـوئـلاً مـن جـار أوس
إذا مـا ضـيـم جـيـران الـضـعـاف

اللقوة الشغواء: العقاب، الأشافي (جمع الأشفي): مثقب تثقب به الأسافي والمزاود والقرب ونحوها عند الخرز، الموئل: الملجأ.

الوضيحي (المها العربي)

صفاته وسلوكه. حيوان ثديي عاشب من العائلة البقرية جميل المنظر رشيق الجسم. وهو أشهر أنواع المها المعروفة

يتميز المها العربي بلونه الأبيض الناصع، لذلك سمي «الوضيحي» لوضوح رؤيته في الصحراء

في أفريقيا وشبه الجزيرة العربية وأكثرها رشاقة في الجسم وخفة في الحركة. يتميز الحيوان البالغ بلونه الأبيض الناصع ومنه اكتسب اسمه الوضيحي لوضوح رؤيته بين رمال الصحراء، كما يسمى أيضاً بقر الوحش والمارية وابن سولع.

وتوجد علامات بنية مسودة على الوجه والصدر والقوائم يختلف حجمها وتوزيعها باختلاف الأفراد. كما يوجد خط بني باهت يمتد على كل جانب من جانبي الجسم، وقد يوجد جزئياً في بعض الأفراد، كما قد يختفي كلية من بعضها الآخر. وينتهي ذيل الحيوان بخصلة شعر سوداء اللون.

يتشابه الجنسان شكلاً وحجماً حتى ليتعذر التمييز بينهما. ومع اكتمال النضج الجنسي يمكن التمييز بينهما بنوع الأعضاء التناسلية الخارجية، كما يكون الذكر أمتن من الأنثى عنقاً وقرنين، ولو أن الأنثى قد تكون أطول قروناً من الذكر. قال صاحب المصايد والمطارد: وكل إناث الحيوان أرق صوتاً من الذكور إلا البقر الوحشية، فإن الأنثى أضخم صوتاً وأظهر من الذكر (القلقشندي ١٩٨٧، ج٢: ٤٧).

ويتميز صغير المها، الذي يسمى الغض أو الغضيض، بلون جلده الرملي

يتشابه الذكر والأنثى في الوضيحي

الترابي مما يجعل تمييزه من البيئة المحيطة به صعباً ويتيح له الحماية من الأعداء عن طريق التخفي. ومع نمو جسمه وزيادته في الحجم والوزن ونمو قرونه يتحول اللون تدريجياً إلى الأبيض الناصع حتى يقترب عمره من عشرة شهور، مع وجود العلامات البنية الداكنة على الجنبين كما ذكرنا سابقاً.

الغض (الغضيض) صغير الوضيحي

يزن الحيوان البالغ في المتوسط حوالي ١٢٥كجم، ويتراوح طول الجسم من ١٤٠ إلى ١٨٠سم، وطول الذنب من ١٩ إلى ٢٥سم. ويبلغ ارتفاعه عن سطح الأرض عند مستوى الكتف من ٩٠ إلى ١٢٠سم. ولكل حيوان، ذكر أو أنثى، قرنان طويلان مستقيمان يتراوح طولهما من ٧٥ إلى ٩٠سم، وقد تصل في بعض الإناث إلى ٩٥سم، والقرن صلب قوي مستقيم كالرمح به انحناء خفيف إلى الخلف وتحيط به حلقات قرنية من القاعدة حتى الثلث الثاني من طوله. يستخدم

يمتاز الوضيحي بطول القرون المصمته

الحيوان قرنيه جيداً في الدفاع عن نفسه كما يستخدمهما الذكر في قهر الذكور الأخرى لتصبح له السيادة على القطيع.

ويقول الدميري إن قرون هذا الحيوان مصمتة بخلاف سائر الحيوانات، فإنها مجوفة. وقرونها صلاب جداً تمنع بها عن نفسها وأولادها كلاب الصيد والسباع التي تطيف بها.

وهناك حدبة واضحة على الكتف تشبه إلى حد كبير الحدبة الموجودة على البقر الأهلي في المملكة إلا أنها أقل منها ارتفاعاً. ويعرف المها العربي بحدة البصر واتساع العينين وشدة سوادهما وجمالهما حتى شبهت به عيون الحسان في قصائد الشعراء. ومنه قول علي بن الجهم:

عيون المها بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري
أعدن لي الشوق القديم ولم أكن
سلوت ولكن زدن جمراً على جمرِ

ويعيش المها العربي في المناطق الرملية المفتوحة والوديان الجافة، والكثبان الرملية، والمناطق ذات الغطاء النباتي الخفيف. وقد انتشر في شبه الجزيرة العربية حتى حضرموت وعدن جنوباً، والعراق وسوريا والأردن شمالاً، وفلسطين وشبه جزيرة سيناء بمصر. وكان المها العربي منتشراً خلال النصف الأول من القرن الميلادي الحالي في صحراء النفود، وصحراء الدهناء والربع الخالي. وقد سجل وجوده في تيما ومدائن صالح ووادي السرحان، كما كان منتشراً في سلطنة عمان.

وعندما كان الحيوان منتشراً في شبه الجزيرة العربية قبل انقراضه منها في الستينيات الميلادية من القرن الحالي، كان يعيش في قطعان كبيرة يزيد عدد القطيع الواحد منها على مائتي حيوان. ومع تناقص أعداد الحيوان في الطبيعة بسبب الصيد الجائر وفقد المواطن الطبيعية الملائمة

أسرة من الوضيحي في المقيل

لحياته وندرة الغذاء، تناقص حجم القطعان حتى أصبح معدلها ١٠ حيوانات أو أقل. وقد يزيد العدد على ذلك أثناء الهجرة. وغالباً يتساوى عدد الذكور مع عدد الإناث في كل قطيع يعيش في البرية، أما تحت الأسر فيتكون القطيع عادة من أسرة، أي من ذكر واحد وعدد من الإناث يتبعها عدد من صغار المها التي يتراوح عمرها بين العامين وثلاثة الأعوام. ويطلق على قطيع المها الصور والصوار والربرب والأجل والسراب والحنطلة.

وفي حالة وجود أكثر من ذكر في القطيع يحدث عراك شديد بين الذكور لتحديد مراتبها السيادية داخل القطيع ينتهي بفوز الذكر السائد وخضوع الذكور الأخرى. وقد يقتل الذكر السائد الذكر الصغير، إذا لم يعرف حدوده التي لا يتعداها، ولكن لا يحدث مثل هذا السلوك العدواني عادة إلا أثناء موسم التزاوج. ويدلل الذكر المقهور على خضوعه بخفض رأسه إلى الأرض وركوعه على قائمتيه الأماميتين. كما تسود إحدى الإناث في القطيع على الإناث الأخرى والصغار في القطيع وتحافظ على سيادتها وتسميها البادية القايده. وتعطي السيادة للفرد السائد في القطيع حول الأفضلية في الحصول على الغذاء والماء، كما يمكنه التحكم في باقي أفراد القطيع الخاضعين لسيادته ومنعهم

وضيحي ذكر في ظهره جزء من قرن ذكر آخر

من الحصول على كفايتهم من الغذاء والماء. وقد لاحظ القائمون على تربية المها تحت الأسر في حدائق الحيوان ومراكز الإكثار هذه الظاهرة ولذلك فإنهم يعمدون إلى توفير كميات من الغذاء والماء في اماكن متعددة من الحظائر لإتاحة الفرصة لتغذية كل أفراد القطيع، لا سيما الصغار والذكور الخاضعين.

والمها من الحيوانات الصحراوية المتحركة التي تقطع المئات من الكيلومترات في الصحراء جرياً وراء المرعى. ويعرف عنه قدرته على الاستدلال على سقوط الأمطار من مسافة بعيدة وهجرته إلى تلك الأماكن بحثاً عن نباتات المرعى النامية بعد سقوط الأمطار. وقد يهاجر المها العربي في الشتاء إلى مناطق الكثبان الرملية ذات الغطاء الرعوي الجيد، ويعود في الصيف عند اشتداد الحرارة إلى الأودية الحصبائية لينعم بظل أشجار الطلح. وقد يفضل المها البقاء خلال الصيف في الأماكن التي يتوافر فيها الظل رغم قلة المرعى عن الأماكن الجيدة المرعى الفقيرة الظل. كما يحاول المها العربي جهده أن يبتعد عن الأماكن التي توجد فيها البادية بمواشيها الأهلية من الماعز والضأن والإبل حتى ولو توافر فيها المرعى الجيد.

ويتغذى المها على أنواع مختلفة من الأعشاب والشجيرات وأوراق الأشجار. وقد يأكل الحنظل في أوقات الجفاف كما

أنه يحفر التربة بحوافره إلى عمق ٢٠سم أو أكثر بحثاً وراء الجذور المتشحمة الغنية بالمياه خلال فصل الصيف. وبوجه عام يمكن القول إن المها العربي لا يشرب الماء إلا إذا توافر له. ويعتبر المها من الأنواع المتكيفة بشكل كامل مع ظروف الحياة في الصحراء وهو من أكثرها قناعة إذ يكتفي عادة بما يقل عن ١٪ من وزن جسمه من الأعشاب كغذاء يومي ولكن يرتفع هذا القدر ثلاثة أضعاف أو أكثر عند غيره من الأنواع.

تزاوجه. يقول الدميري إن من طبع المها الشبق والشهوة، فلذلك إذا حملت الأنثى هربت من الذكر خوفاً من عبثه بها وهي حامل. ولفرط شهوته يركب الذكر ذكراً آخر، وإذا ركب واحد منها شمت بقية الذكور منه رائحة الماء فتثب عليه.

يصل الحيوان إلى النضج الجنسي عند عمر ٢٢ إلى ٣٠ شهراً وقد تستمر خصوبته لأكثر من عشر سنوات. ولا يوجد موسم تزاوج محدد خلال العام للمها العربي، لذلك يمكن أن تحمل الأنثى وأن تضع في أي وقت من أوقات السنة. ويبلغ طول فترة الدورة النزوية عند الأنثى من ٢٥ إلى ٣٢ يوماً. وتبلغ مدة الحمل حوالي ٢٨٥ يوماً في المتوسط ويمكن للأنثى أن تضع مولوداً كل عام، إذ إنها تمر بدورة نزوية بعد الوضع

أنثى الوضيحي في حالة وضع

خلال أسبوع أو أسبوعين. وعند إحساسها قرب عملية الوضع تبدأ الأنثى البحث عن مكان منعزل لحماية الصغير بعد الوضع. وتستمر عملية الوضع من ٤ إلى ٧ ساعات تكون الأنثى خلالها ممددة الجسم على سطح الأرض ولا تقف إلا بعد خروج رأس الصغير حيث تقف وتتحرك لتساعده في الخروج. وبعد الولادة تلعق الأم صغيرها وتنظفه ثم تأكل المشيمة عند خروجها بعد حوالي ثلاث ساعات من الوضع.

ويستطيع الصغير أن يتحرك ويحافظ على توازنه بعد حوالي ساعتين ونصف من عملية الوضع ولكنه يبدأ الرضاعة قبل ذلك. ويلجأ الصغير إلى الاختباء بين الأعشاب والشجيرات ولا يتحرك إلا للرضاعة من الأم. ويستطيع الصغير أن يحافظ على توازنه تماماً بعد ٤٨ ساعة من الوضع ثم لا يلبث أن يبدأ استخدام

يبدأ (الغيض)في أكل الأعشاب بعد ٣ أسابيع من ميلاده

أقدامه الدقيقة في عمل تجويف في التربة يساعده على الاختفاء ويحميه من سطح التربة ذي الحرارة المرتفعة. وتتحرك الأم حول مكان الصغير لحمايته من الأعداء. وقد يفطم الصغير بعد ثلاثة أسابيع من عمره وقد يستمر في الرضاعة حوالي ١٢ أسبوعاً قبل أن يفطم. ولكنه يبدأ عادة أكل بعض الأعشاب بعد حوالي ثلاثة أسابيع من عمره.

ورغم أن المها العربي كان موجوداً بكثرة في صحراء النفود وصحراء الربع الخالي وكثبان الدهناء، إلا أنه انقرض تماماً من بيئته الأصلية هذه بسبب الصيد الجائر. وقبل أن ينقرض المها كان الملك خالد بن عبدالعزيز، رحمه الله، قد جمع في مزرعته بالثمامة، التي تبعد حوالي ٩٠كم شمال شرق الرياض، مجموعة من المها العربي، وذلك في حوالي عام ١٩٧٠م. وتعتبر هذه المجموعة حالياً هي الأساس لتكاثر المها في المملكة، خاصة بعد إنشاء الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها في عام ١٤٠٦هـ، التي أخذت على عاتقها الاستمرار في رعاية هذا الحيوان النادر وإكثاره تحت الأسر وإعادة توطينه في مواطنه الأصلية التي كان منتشراً فيها بالمملكة.

ويبلغ عدد أفراد القطيع الذي كان موجوداً في الثمامة حوالي سبعين حيواناً في ذلك الوقت، نقلت إلى المركز الوطني لأبحاث الحياة الفطرية بالطائف. وبعد أن قام المتخصصون في المركز بعلاج أفراد القطيع من بعض الأوبئة التي كادت تفتك به، جرى إكثاره تحت الأسر طبقاً للأساليب العلمية مع إدخال دماء جديدة من حيوانات جلبت من حديقة سان دياجو بالولايات المتحدة الأمريكية، ومن دولتي قطر والبحرين، وكذلك من المملكة الأردنية الهاشمية. أما في وقتنا الحاضر فقد تضاعف عدد المها المتكاثر تحت الأسر عدة مرات، وبُدئ بإطلاق قطعان منه في محمية محازة الصيد التي تبعد حوالي ١٤٠كم عن الطائف، وكذلك في محمية عروق بني معارض على مشارف الربع الخالي.

صيده. يصاد بالطرد على الخيل. ويقال إن أول من طردها على الخيل ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، فإنه أول من ركب الخيل. ولما ركبها رأى بقرة وحشية فطردها فلجأت إلى مكان يمكنه أخذها منه، فرق لها وتركها. ومن الكلاب ما يتسلط عليها ويتعلق بها، وأقدر معين له عليها من جوارح الطير العقاب. وكثيراً ما تستعمل الأشراك الحديدية في صيد بقر الوحش، فتدس في أماكن متفرقة تحت التراب، حتى إذا خطت عليها البقرة علقت بأرجلها وانطبقت عليها وانقطع عصبها فلا تقوم. وكان العرب قديماً يصطادونها بالرمي بالأقواس. من ذلك ما حكاه الدميري أن بشر بن الحرث الأسدي خرج في سنة جهد فيها قومه، فمروا ببقر فتفرقت منهم، فقام على رأس جبل فرماها بقوسه فجعلت تلقى نفسها، وهو يقول «تتابعي بقر» حتى تكسرت. ثم رجع إلى قومه فدعاهم لأكلها، وقد صارت تلك العبارة مثلاً يضرب للأمور التي تتتابع بسرعة.

ذكره في مأثور القول والأدب. ورد ذكر المها كثيراً في التراث العربي شعره ونثره وأمثاله. وقد كثر ورود المها في الشعر العربي لبياض لونه وشدة وضوحه وسواد عينيه واتساعهما وجمالهما وقوة جسمه ورشاقته وشدة شبهه بالخيل ولذلك فقد أفاض الشعراء في وصفه وشبهوا به محبوباتهم. من ذلك قول زهير بن أبي سلمى:

تنازعها المها شبها ودر النـــــ
حور وشاكهت فيها الظباء
فأما ما فويق العقد منها
فمن أدماء مرتعها الخلاء
وأما المقلتان فمن مهاة
ولدر الملاحة والصفاء

وقول عبيدالله بن قيس الرقيات:

ألا إنما ليلى مهاة غريرة
وسعدة في أترابها البيض ربرب

وقول ابن الدمينة:

وسرب مباهيج كأن عيونها
عيون المها جيبت عليها البراقع

المباهيج (جمع مبهاج): الحسنة اللون الناظرة، أجاب البرقع: قوره وأحدث فيه خرقاً مستديراً. ويقول ذي الرمة:

أوانس حور الطرف لعس كأنها
مها قفرة قد أفردته جآذره

ويقول مجنون ليلى:

منعمة الأطراف هيف بطونها
كواعب تمشي مشية الخيل في الوحل
وأعناقها أعناق غزلان رملة
وأعينها من أعين البقر النجل

ويقول عمر بن أبي ربيعة مشبهاً حبيبته نُعْم وصويحباتها بقطيع من المها:

ذكَّرتني الديار نُعماً وأترا
باً حساناً نواعماً كالصوار

ويقول أيضاً مشبهاً النساء وهن يرفلن في الحلل الجميلة ويمشين الهوينى بجآذر البقر:

يرفلن في الريط والبرود كما
يمشي الهوينى جآذر البقر

وقول عدي بن الرقاع مشبهاً عيني المحبوبة بعيني جؤذر:

وكأنها وسط النساء أعارها
عينيه أحور من جآذر جاسم

وسنان أقصده النعاس فرنقت
في عينه سنة وليس بنائم

وشبه قيس بن الخطيم تبختر النسوة الحسان المغترات بحسنهن بمشي المها في الرمال الناعمة فقال:

تمشي كمشي الزهراء في دمث الرمـ
ـل إلى السهل دونه الجرف

وقال امرؤ القيس:

فعن لنا سرب كأن نعاجه
عذارى دوار في ملاء مذيل

وقال بشار مشيراً إلى ديار المحبوبة المقفرة التي تمشي بها الأبقار الوحشية خالصة البياض كأنها فتيات جميلات، يرفلن بثيابهن البيض:

تمشي بها عين النعاج كأنها
سرب العذارى في البياض المعمد

وقال مسلم بن الوليد:

دار الغواني بدلت آياتها
حور المها وشوادن الغزلان

وقال بشار أيضاً:

وفلاة زوراء تلقى بها العيـ
ـن رفاضا يمشين مشي النساء

وقال الفرزدق:

ولقد يحل بها الجميع وفيهم
حور العيون كأنهن صوار

وقال الأخطل يصف اللون الأبيض الناصع لثور المها:

صرد كأن أديمه قبطية
يرتج من صرد نساه ويخصر

الصرد: الذي أصابه البرد، وأديمه جلده والقبطية: ثياب بيض رقاق تنسب إلى موضع القبط. وقال ذو الرمة مشبهاً الثور الوحشي بالقباء الأبيض:

تجلو البوارق عن مجرمز لهق
كأنه متقبي يلمق عزب

البوارق: السحب التي فيها برق، مجرمز: يريد الثور وقد انقبض واجتمع بعضه إلى بعض مما أصابه من المطر والبرد، لهق: أبيض، متقبي: لابس قباء. ومرة أخرى شبه ذو الرمة الثور في بياضه بشعلة نار قال:

ولاح أزهر مشهور بنقبته
كأنه حين يعلو عاقراً لهب

لاح: ظهر، نقبته: لونه، عاقر: رملة لا تنبت شيئاً. وقد تعرض الشعراء للبقر الوحشي في حديثهم عن الديار وأقفارها وخلوها من الأحبة، فصارت مألفاً لها ولغيرها من الحيوان. قال الأخطل:

دار تبدلت النعام بأهلها
وصوار كل ملمع ذيال
أدم مخدمة السواد كأنها
خيل هوامل بتن في أجلال
ترعى بحازجها خلال رياضها
وتميس بين سباسب ورمال

أدم: بيض، مخدمة السواد: يغشاها السواد عند أرساغها، البحازج: جمع بحزج وهو الجؤذر، ولد البقر الوحشية، تميس: تتمايل.

قال أبو الشيص عندما وقف بالديار فلم يجد بها إلا البقر الوحشي والنعام الأربد:

فوقفت أسألها وليس بها
إلا المها ونقانق ربد

وقال النابغة في نفس المعنى:

تأبد لا ترى الا صوارا
بمرقوم عليه العهد خال

وشبه الشعراء انتشار الكواكب اللامعة على صفحة السماء الصافية، ببقر الوحش الناصع البياض المنتشر على صفحة الرمال الواسعة. قال أبو نواس:

فحين بدا لك السرطان يتلو
كواكب كالنعاج الراتعات
بدا بين الذوائب في ذراها
نبات كالأكف الطالعات

وقال ابن هرمة:

وبنات نعش يبتدرن كأنها
بقرات رمل خلفهن جآذر

كما عرف الشعراء شدة صبابة البقرة الوحشية على ولدها فصوروها وهي تراعي جؤذرها الوحيد الذي لم تلد غيره، فتتركه قليلاً ثم ترنو إليه، لكنها لا تجد في مكانه إلا أثر جلده الذي بددته وحوش الصحراء، قال أبو نواس مشبهاً ناقته بهذه البقرة:

إنا إليك من الصليت فداسم
طلع النجاد بنا وجيف الأينق
يتبعن ماثرة الملاط كأنما
ترنو بعيني مقلت لم تغرق
خنساء ترعى جؤذراً بخميلة
وبها إليه صبابة كالأولق
حتى إذا وجدته لم تر عنده
إلا مجر إهابه المتمزق

وقال بشار بن برد في المعنى نفسه:

فأصبحت أثني غرب روعاء أوحشت
بها جنة من طائر حين غردا

مـواشـلة مـثـل الـفـريدة عـبـدت
بـشرقـي وعسـاء السـمـينـة مـرقدا
رعت غـيـبـة عنـه وأضحـى بغـيـبـة
لـقي المـنـايا بـين دعـصـين مفـردا
غـدت وبهـا شـيء وراحت بمـثـله
لـترغـده مـن عـيشـهـا أن تـرغدا
فـمـا وجـدت إلا مـجـر إهـابـه
وإلا إهـابـاً بـالـقـفـي مـقـددا
فـسافـت علـيـه ساعـة ثم أدبـرت
حـديدة طـرف العـين نظـارة العـدا

ويقول الأخطل يصف ذكر المها وقد تخضبت أظلافه من كثرة وطئـه للنبات الرخص في أرض سهلة، باكرها سقوط المطر، ممـا أدى به إلى أن يلـوذ بكنف شجرة الأرطاة محتمياً من السحاب الذي ينهمر بمطر شديد، يصحبـه رعد أجش القصـف. وهذا الثور كـلما حاول أن يسعى إلى النوم، فيغمض عينيه، منعه سيل مندفع كان يهيل عليه التراب الذي يلج إلى عينيه فيمنعهما من الاغتماض ويحول بـينه وبين النوم... وبـعد ذلك يقف الشاعر عند الصيادين والكلاب التي هاجمت ذاك الثور:

أو مقـفـر خـاضب الأظلاف جـادله
غـيث تـظاهـر فـي ميـثاء مـبـكار
فـبات فـي جـنـب أرطأة تـكـفئـه
ريـح شـآمـيـة هـبـت بـأمـطـار
يـجـول ليـلـتـه والـعين تـضـربـه
مـنهـا بـغيـث أجـش الرعـد نيـار
إذا أراد بـهـا الـتـغـمـيـض أرقـه
سـيـل يـدب بهـدم الـتـرب مـوار
كـأنـه إذ أضـاء الـبـرق بـهـجـتـه
فـي أصفـها نـية أو مـصطـلى نـار
أمـا الـسراة فـمـن ديـباجـه لـهـق
وبـالقـوائـم مثـل الـوشـم بالـقـار
حتى إذا انجاب عنه الـليل وانكشفت
سـمـاؤه عـن أديم مـصـحـر عـار
آنسـن صوت قنـيص إذ أحس بـهم
كـالجـن يهـفـون مـن جـرم وأنمار
فانـصاع كـالكوكـب الدري مـيعتـه
غضـبان يخـلط من مـعج وإحضار
فـأرسلـوهن يـذريـن التـراب كمـا
يـذرى سبـائـخ قـطن نـدف أوتـار
حـتى إذا قـلـت نالـتـه سـوابقـهـا
وأرهـقـتـه بـأنـيـاب وأظـفـار
أنـحى إلـيهـن عـيناً غير غـافلـة
وطـعـن مـحـتـقـر الأقـران كـرار
فـعفـر الـضاريـات اللاحـقـات به
عـفر الـغريـب قـداحاً بـين أيـسار
يـعـذن مـنـه بـجزان المـنـان وقـد
فـرقـن عـنـه بـذي وقـع وآثـار

وقد شـبه امرؤ القـيس ناقتـه بثور الوحش يحفر بظلوفه مـربضاً يبيت فيه ومكنساً يقيه الحر والـبرد، وعند دخول

العشاء شرع يهيل التراب ويذريه. وبات ذلك الثور متوسداً خده الأسود ينام مثل أسير موثق مقيد مطروح على جنبه. ومع الشروق صبحته كلاب الصيد التي أرسلها ابن مر أو ابن سنبس. كلاب مجوعة، جلودها زرق، وعيونها حمر تشبه زهور العضرس، فقد أغريت وأشير إليها بالهجوم. قال:

كأني ورحلي فوق أحقب قارح
بشربة أو طاو بعرنان موجس
تعشى قليلاً ثم أنحى ظلوفه
يثير التراب عن مبيت ومكنس
يهيل ويذري تربها ويثيره
إثارة نيات الهواجر مخمس
فبات على خد أحم ومنكب
وضجعته مثل الأسير المكردس
وبات إلى أرطاة حقف كأنها
إذا ألثقتها عبية بيت معرس
وصبَّحه عند الشروق غدية
كلاب ابن مر أو كلاب ابن سنبس
مغرثة زرقا كأن عيونها
من الذمر والإيحاء نوار عضرس

شربة وعرنان: موضعان، طاو: ثور وحش بات جائعا، موجس: متسمع لكل نبأة، تعشى: دخل في وقت العشاء، وهو أول الليل، أنحى ظلوفه: اعتمد بأظلافه يحفر مربضاً يبيت فيه، النيات: الذي يزيل التراب الظاهر لتباشر

إبله برد الثرى، ألثقتها: بلتها، الغبية: الدفعة من المطر، الذمر: الإغراء والتسليط، الإيحاء: الإشارة لها إلى الشيء.

ولما شعر الثور بالكلاب ولى مدبراً ولكنها لحقت به واشتبك معها وتناولت ساقه ومزقت عروقها، كما يمزق الولدان ثوب الذي يقصد بيت المقدس للحج، ويئست من نواله بعد أن استبد بها الإعياء، فلجأت إلى الشجر لتستريح وتركته مثل بعير انقطع عن الضراب عجزاً فبرز للشمس:

فأدبر يكسوها الرغام كأنه
على الصمْد والآكام جذوة مقبس
وأيقن أن لاقينه أن يومه
بذي الرمث أن ماوتّهُ يوم أنفس
فأدركنه يأخذن بالساق والنسا
كما شبرق الولدان ثوب المقدّس
وغوَّرن في ظل الغضا وتركنه
كفحل الهجان الغادر المتشمس

الصمد: ما غلظ من الأرض وصلب، المقبس: الذي عنده من النار ما يقبس منه، النسا: عرق في الساق، شبرق: مزق، المقدس: الذي يأتي بيت المقدس للحج، غورن: استترن.

وقال النابغة الذبياني يصف تفوق المها على كلاب الصيد التي تطارده:

من وحش وجرة موشي أكارعه
طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد
أسرت عليه من الجوزاء سارية
تزجي الشمال عليه جاور البرد
فارتاع من صوت كلاّب فبات له
طوع الشوامت من خوف ومن صرد
شك الفريصة بالمدرى فأنفذها
طعن المبيطر إذ يشفي من العضد
كأنه خارج من جنب صفحته
سفود شرب نسوه عند مفتأد
فظل يعجم أعلى الروق منقبضا
في حالك اللون صدق غير ذي أود
لما رأى واشق إقعاص صاحبه
ولا سبيل إلى عقل ولا قود
قالت له النفس إني لا أرى طمعا
وإن مولاك لم يسلم ولم يصد

كما جاء ذكر المها في النثر العربي. وصف أحد كتاب الأندلس المتأخرين صواراً من بقر الوحش في رسالة طردية له فقال «لقد عَن لنا سرب نعاج يمشين رهواً مشي العذارى، ويتثنين زهواً تثنى السكارى. كأنما تجلل بالكافور جلودها، وتمضخ بالمسك قوائمها وخدودها. وكأنما لبسن الدَّوَقسَ سربالاً، واتخذن السندس سروالاً. فأرسلنا أولى الخيل على أُخراها، وخلیناها وإياها. فمضت مُضِي السهام، وهوت هَوِي السَّمَام. فجالت

في أسرابها يمينا وشمالاً، فكأنما أهت لآجالها آجالا».

وشبه الشعراء الشعبيون المرأة بالمها وأفاضوا في ذلك، ومن أمثلة ذلك ما قاله عبدالله بن فرحان القضاعي:

يامن يبادل بالوضيحى جراده
متى تدوّر حصة البحر وتصاد

وقال محمد بن مناور العنزي:

العنق عنق وضيحيٍّ يوم ينذار
سمع الصياح وشاف رف الذخيره

ينذار: يجفل، رف الذخيره: دخان الرمي. وقال سالم بن هاشم الغريس:

عنق المها اللى راتعٍ له بروض
سمع الرماة وخاف لا احدٍ يريعه

وقال عبدالله بن إبراهيم الجابر:

والا مهاةٍ تقود خشوف
والا فحورية الجنه

وقال فهد الفويه السبيعي:

ترها طويلة عنق مثل المهاة
مثل الاصيل اللي طويل مَعَنّه

الأصيل: يقصد الفرس الأصيلة.

وقال عقاب بن سعدون العواجي:

طفل لشراد المها صار قواد
يحير عقلي من تواصيف لونه

الظباء

صفاتها وسلالاتها. المفرد ظبي والجمع أَظْب وظِباء وظُبِي. والأنثى ظبية والجمع ظبيات وظباء. وأرض مظبأة أي كثيرة الظباء. قال الكرخي: الظباء ذكور الغزلان والأنثى الغزال. قال الإمام: وهذا وهم فإن الغزال ولد الظبية إلى أن يشتد ويطلع قرناه. قال الإمام النووي: الذي قاله الإمام هو المعتمد. وقول صاحب التنبيه: فإن أتلف ظبياً ماخضاً، قال النووي: صوابه ظبية ماخضاً، لأن الماخض الحامل، ولا يقال في الأنثى إلا ظبية، والذكر ظبي. قال الجوهري: وتكنى الظبية أم الخشف وأم شادن وأم الطلا. والظباء مختلفة الألوان وهي ثلاثة أصناف: صنف يقال له الآرام وهي ظباء بيض خالصة البياض الواحد منها ريم، ومساكنها الرمال. ويقال لها ضأن الظباء، لأنها أكثر لحوماً

وشحوماً. وصنف يسمى العفر وألوانها حمر، وهي قصار الأعناق وأضعف الظباء عدواً، تألف المواضع المرتفعة والأماكن الصلبة. وصنف يسمى الأدم: طوال الأعناق والقوائم بيض البطون. وتوصف الظباء بحدة البصر، وهي أشد الحيوان نفوراً. ومن كيَس الظبي أنه إذا أراد أن يدخل كناسه يدخل مستدبراً ويستقبل بعينيه ما يخافه على نفسه وخشفانه، فإن رأى أن أحداً أبصره حين دخوله لا يدخل وإلا دخل. ويستطيب الحنظل ويلتذ بأكله ويرد البحر فيشرب من مائه المر الزعاف. وهذا ظاهر الأمر وفالصحيح

غزال الريم في محمية محازة الصيد

أنه توجد عيون من ماء عذب تخرج في أطراف البحر في المناطق التي يغطيها المد، وعند حدوث الجزر تردها الظباء فتشرب منها وهي تعرف مكانها. قال ابن قتيبة: أول سنة طلا وخِشف، ثم في السنة الثانية جذع، ثم في الثالثة ثني، ثم لايزال ثنياً حتى يموت.

والظباء من أسرع الحيوانات عدواً، وأخفها حركة ووثباً. والعرب تدعو وثب الظباء نزواً، والظبي حين يثب يجمع قوائمه ثم ينشرها عند الوقوع، ويدعى هذا الوثب النفز والنقز، وتسميه البادية المتاوم والطمير، ومن هنا جاء المثل «عيا على فطاح الظبي طميرها». والظبي حين يُذعر أو يطرد يعدو عدواً سريعاً، حتى إنه ليخف على وجه الأرض. فيقال مر الظبي يهفو على وجه الأرض ويطفو ويذرو، وهو عند ذلك يُخلي قوائمه ويمضي لا يلوي على شيء، فيقال تَطلَق الظبي واستطلق. وعدو الظباء إنما يكون في السهوب المنبسطة، وليس لها قدرة على العدو والإسراع في الجبال.

ويتصف الغزال برشاقته حتى قالوا في المثل الشعبي «أخف من دم الغزال»،

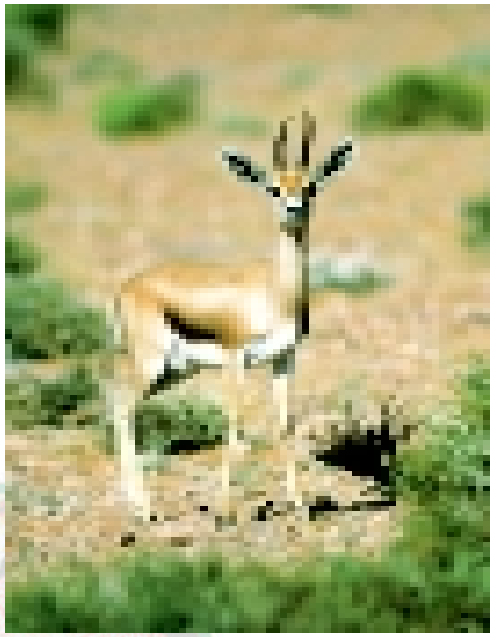

تمتاز الريم بالرشاقة وخفة الحركة

والدم يعني الظل والروح ويعني الاستحسان والمدح. وشدة عدوه مظهر من مظاهر عافيته حتى ضرب به المثل «أعفى من الظبي»، والمثل يستخدم للمدح.

والظباء تحيا جماعات جماعات. ويقال لجماعة الظباء «الجميله»، كما يقال لها الأمعوز إذا كانت بين الثلاثين والأربعين وخاصة الريم، أما العفري والإدمي فلا تجتمع بهذه الأعداد إذ يلاحظ أن تجمعها في الطبيعة لا يزيد عن خمسة الأفراد أو الستة أفراد. وقائدة الجميلة هي أبرز الفريق وأسرعه في الجري. والقائدة لجميلة الظباء تكون في العادة جمّاء أي لا قرون لها، ومن أسمائها العنود، وقالوا في المثل الشعبي «أزين من قايد الريم»، وقايد الريم العنود والمثل يستعمل للمدح. ولأنها تقود الجميلة يحرص الصيادون على صيدها أولاً لأن ذلك يجعل الجميلة تتحير وتقف مما يتيح للصيادين صيد واقتناص عدد غير قليل منها قبل هربها. والظبية شديدة الحدب على ولدها كثيرة الرعاية له فهي تنقطع عن السرب وتتخلف عنه لتقيم مع ولدها وترعاه، فإذا فعلت ذلك قيل: خذلت الظبية أو الوحشية، فهي خاذِل وانفردت عن القطيع فهي فارد. وهي تستر خشفها خلف ما يواريه من شجر ونحوه فيقال: خَدرت الظبية طلاها أو غزالها، والظبية تدعو ولدها بأرخم ما يكون من الصوت وأطيبه. ويقال لصوتها هذا البغام، ويقال لها ظبية بغوم. وتسمى البادية صوت الظبي إذا استنكر شيئاً العفيط فيقال عفط الظبي. والظبية ترفق بولدها أشد الرفق عند فطامه، وتتأنى لذلك أحسن التأني، فهي لا تفطمه عن الحليب دفعة واحدة، وإنما تمنعه عنه بعض المنع حين تدرك أنه غدا قادراً على الأكل، ثم لا تزال تمنعه تارة وترضعه أخرى وتزيد على الأيام في مدة منعه، حتى إذا أصبح في غنى عنها فطمته

اشتهرت الظبية بشدة رعايتها لصغارها

فطاماً لا رجعة فيه، ومنعته الرضاعة كل المنع.

ومن عادة الظباء أن تحرك أذنابها شأنها في ذلك كشأن الكلاب التي تفعل ذلك عند الفرح والتودد، فيقال عندئذ لألأت الظباء بأذنابها وبصبصت. والظباء تتأذى من الحر، فإذا طلعت الجوزاء واشتدت حَمارّة القيظ لجأت إلى مكانسها وقالت فيها. وللظبي نومتان في مكنسين اثنين: مكنس الضحى، ومكنس العشي، ويدعى مكنِس الظبي تَوْلَجاً. ويقال أدمج الظبي في كناسه إذا دخل فيه، وأتلج الظبي في كناسه وأتْلَجَه فيه الحر. وحين يشتد الحر تجعل الظباء رعيها في الغدوات، حيث يكون الجو ما يزال بارداً، وفي الليل حيث تغرب الشمس.

وهي تأكل ما تصل إليه من أوراق الشجر وأغصانها، وترعى ما تجده في الأرض من كلأ. فيقال عَطَت الظبية عطواً إذا تناولت الشجر، وظباء عَوَاط إذا ارتكزت على قائمتيها الخلفيتين، ورفعت جسمها لتصل إلى أوراق الشجر. وخَضَعت الظبية إذا أمالت رأسها في الرعي وظباء خواضع. والظباء تخرج رأسها من كناسها لتتحسس حالة الجو أو لغرض آخر

غزال الريم بين الأشجار البريّة في محمية (محازة الصيد)

فيقال: أتلعت الظبية بمعنى أخرجت رأسها من كناسها.

وظلف الظبي شديد الأثر فيما يطأ عليه، لذا فإن الصائدين يستدلون على الظباء بآثار أظلافها في المواضع الرملية، وبأبعارها فيما عدا ذلك من الأرض. والظباء إذا فقدت الماء استنشقت النسيم واعتاضت به عن الماء، وهذا غير صحيح وقيل إن الذي يفعل ذلك منها هو ظباء الدو والدهناء والصمان. والظبي إذا طرده طارد لم يجهد نفسه في العدو لأول وهلة، وإنما يرفق بنفسه ويحتفظ بقواه إلى الوقت الذي تضعف فيه قوى طارده، فإذا رأى طالبه قد دنا منه جد في العدو وزاد في سرعته حتى يفوته (الباشا ١٩٨٣: ٢٠٩-٢١١).

والظباء قد تدجن وتولد على صعوبة ما في ذلك. والظبي شنج النسا (شنج النسا: منقبضه)، فهو لا يسمح بالمشي. وظبي أشعب: إذا كان بعيد ما بين القرنين. ويقال ليس في البهائم أطيب أفواهاً من الظباء. والظباء والبقر كلها فطس خنس. وإذا سموا امرأة خنساء فليس الخنس والفطس يريدون، بل كأنهم قالوا: مهاة وظبية. والظبي إذا هزل أبيض. والظباء تخضم الحنظل. والعنز من الظباء إذا اعتراها البول من شدة الفزع لم تجمعه وحذفت به كإبزاغ المخاض

الضوارب. وأصغر أيور الحيوان قضيب الظبي. والظبية إذا ظنت أن ولدها قد أطاق الأكل منعته بعض المنع، ثم لا تزال تنزل ذلك المنع وترتبه وتدرجه، حتى إذا علمت أن به غنى عنها إن هي فطمته فطاماً لا رجعة فيه، منعته كل المنع. وأم عزة: الظبية، وعزة ابنتها.

ومما جاء في الحديث الشريف: أن النبي ﷺ أمر الضحاك بن قيس أن يأتي قومه فقال: إذا أتيتهم فاربض في دارهم ظبياً. وتأويله أنه ﷺ بعثه إلى قوم مشركين ليتبصر ما هم عليه ويتجسس أخبارهم ويرجع إليه بخبرهم، فأمره أن يكون منهم بحيث يراهم ويتبينهم ولا يتمكنون منه، فإن رابه منهم ريب تهيأ له الهرب وانفلت منهم، فيكون مثل الظبي الذي لا يربض إلا وهو متباعد متوحش بالبلد القفر، أو متى ارتاب أو أحس بفزع نفر (شاكر ١٩٨٥، ج٢: ٢٨٠)

ويقول الدميري عن خواص الظبي ما يلي: قال ابن وحشية: قرنه ينحت ويبخر به البيت، يطرد الهوام. ولسانه يجفف في الظل ويطعم للمرأة السلطة، تزول سلاطتها. ومرارته تقطر في الأذن الوجعة، يزول وجعها. وبعره وجلده يحرقان ويسحقان ويجعلان في طعام الصبي فيأكله، فينشأ ذكياً فصيحاً ذلقاً. ومسكه، الذي يؤخذ من نوع خاص من الظباء لا يوجد في الجزيرة العربية، يقوي البصر، وينشف الرطوبات، ويقوي القلب والدماغ، ويجلو بياض العين، وينفع من الخفقان، وهو ترياق للسموم، إلا أنه يورث تصغير الوجه. ومن خواص المسك أن استعماله في الطعام يورث البخر. قال الرازي: لحم الظبي حار يابس وهو أصلح لحوم الصيد، وأجوده الخشف، وهو نافع للقولنج والفالج والأبدان كثيرة الفضول، لكنه يجفف الأعضاء، ويرفع ضرره الأدهان والحوامض، وهو يولد دماً حاراً وأصلح ما أكل في الشتاء.

ويقول القزويني: دماغ الغزال يداف بدهن الفأر، ثم يؤخذ منه فيداف بماء الكمون ويشرب منه قدر جرعة ينفع للسعال. ومرارته تخلط بقطران وملح ويشرب منها صاحب السعال الذي يقذف القيح والدم جزءاً بماء حار، يبرأ بإذن الله تعالى.

ويقول الدميري عن رؤية الظبي في المنام: هو امرأة حسناء عربية. فمن رأى أنه يملك ظبية بصيد فإنه يملك جارية بمكر وخديعة، أو يتزوج امرأة. ومن رأى أنه ذبح ظبية افتض جارية. ومن رمى ظبية لغير الصيد، فإنه يقذف امرأة. ومن رمى ظبية وكان عزمه الصيد نال مالا من امرأة. ومن رأى أنه صاد ظبياً أصابته لذاذة في الدنيا. ومن رأى أنه أخذ ظبياً نال ميراثاً وخيراً كثيراً. ومن رأى أنه سلخ ظبية فجر بامرأة. ومن رأى ظبياً وثب عليه فإن امرأته تعصيه في جميع أموره. وقال جاماسب: من رأى أنه يمشي في أثر ظبي زادت قوته. ومهما ملك الإنسان من قرون الظباء أو شعورها أو جلودها فهي أموال من قبل النساء.

وقد شاع في وقتنا الحاضر استخدام لفظ الغزال ليدل على الظبي البالغ والجمع غزلان، وتستخدم حالياً مرادفة للفظة الظباء وهو خطأ. ويطلق على ذكر الظباء تيس والأنثى عنز. ويسمى الذكر المسن عود. وعلى عكس الحيوانات المشابهة لا يعرف عمر الظبي من أسنانه ولذلك يقول المثل «فلان مثل الظبي دايم ثني» لمن لا يظهر عليه آثار تقدم العمر.

ويوجد في المملكة العربية السعودية أربعة أنواع من الظباء: الريم والإدمي والعفري والخضري. وما زالت هناك أعداد محدودة من النوعين الأولين خاصة في المناطق الشمالية في حرة الحرة والخنفة والطبيق. وقد توجد منها أعداد ضئيلة جداً في منطقة الربع الخالي. أما النوع الثالث (العفري) فيبدو أنه انقرض من المملكة العربية السعودية. فإن كانت هناك أفراد معدودة باقية منها فليس من المعروف مكانها بالتحديد. وقد يوجد بعض الأفراد منها في المجموعات الخاصة التي يحتفظ بها بعض الشيوخ في مزارعهم وحدائقهم. وهناك نوع خامس يسمى ظبي بلقيس يوجد في اليمن ولا يوجد في المملكة العربية السعودية.

الريم (ظبي الرمال): أكبر أنواع الظباء في الجزيرة العربية. ومنه نوعان عربي يوجد في الجزيرة العربية وأفريقي يوجد في شمال أفريقيا، وكلاهما يعرف بالريم حتى يومنا هذا، والريم جمع مفرده ريمي وريمية وجمع الجمع آرام. ويتميز الريم بلونه الرملي والجزء الداخلي للقوائم والبطن مغطى بشعر أبيض ناصع. وخطوط الوجه والخاصرة غير واضحة. ويبلغ طول الجسم الكلي ما بين خمسة وتسعين إلى ١٢٠سم، أما ارتفاع الكتف فيتراوح ما بين ٦٠ إلى ٧٠سم وطول الأذن من ١١ إلى ١٢سم. ويبلغ طول

الريم: ظبي الرمال

قرون الـذكور ما بين ٢٠ إلـى ٣٠سم وللإناث قرون قصيرة رفيعة.

ويألف ظبي الريم الصحاري والمناطق قليلة العشب والسهول والوديان الرملية والمناطق المفتوحة والنجود. وكان موجوداً بأعداد كبيرة في مناطق الـكثبان الرملية في الـربع الخالـي والدهـناء وصحـراء النفود. كمـا كان منتشراً بشكـل واسع في الجزيرة العربية. ويوجد حالياً أعداد قليلة جداً في الخنفة والحرة وفي بعـض مناطق الربـع الخالي. وكان ظبي الريم منتشـراً انتشاراً واسعاً في شـبه الجزيرة العربية شمالاً حتى تركيا وشرقاً في إيران وجنوب روسيا وأفغانستان وباكستان حتى الصين. ويـطلق على الـقطيع جـميلة والجمع جمايل وجُمُل.

الإدمي (ظبي الجبال): وهـو ظبي متوسـط الحجم يتمتـع بقوائم طويـلة

الريم: ظبي الرمال

الأدمي: ظبي الجبال

نسبياً، ورقبة طويلة دقيقة، ورأس صغير نسبياً. ولذا قالوا في المثل «راس ظبي ما عليه عراش»، والعراش اللحم الذي يكون في الرأس، ويعني عدم وجود الفائدة. ويبلغ طول جسمه الكلي ما بين ٩٠-١٠٥سم، وارتفاع الكتف ما بين ٦٠-٦٥سم. ويصل طول ذيله إلى ١٠سم، أما الأذن فطولها من ١١-١٢سم وطول قرون الذكر ما بين ١٥-٢٧سم.

ويتميز ظبي الإدمي بطول الرقبة ودقتها حتى ليوصف بها عنق المرأة الطويل الجميل. كما يتميز بلون متجانس بين اللون البني الترابي واللون الترابي الداكن الذي يبهت تدريجياً عند القوائم. وخط الخاصرة واضح، ويمكن ملاحظته عن بعد. ويوجد خطان

وضوح خط خاصرة الأدمي عن بعد

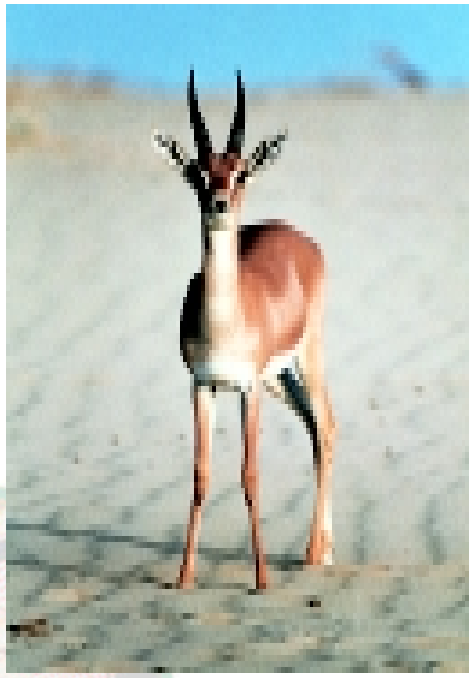

يتميز الأدمي بطول الرقبة

يسميهـا أهل البادية الرقمه. وللإناث قرون قصيرة ورفيعة والحلقـات القرنية غير واضحة.

ويألف ظبي الإدمي المناطق الجـبلية والمنحـدرات والحرات، كذلك غـابات الطلح المفتوحة. وكان هذا الغزال يتوافر بأعداد جيـدة على طول سلسـلة جبال السروات، وجبال أجـا وسلمى ووادي السرحان وحرة الحرة والمناطق الصحراوية الأخرى. وقد عرف أيضاً بأن هذا الظبي يوجـد بأعداد جيـدة في دول الشـمال الأفريـقي، ومصر وفـلسطـين والأردن وسوريا ولبنان والعراق، بـالإضافة إلى الجزيرة العربية.

أسودان ممـتدان من أسفـل العين إلـى الأنف مع وجود بقعة مميزة على الأنف،

العفري: أصغر حـجماً من الظبي الجبلـي، وطوله الكـلي يبلـغ ٩٣سم

يألف الأدمي المنحدرات والحرات

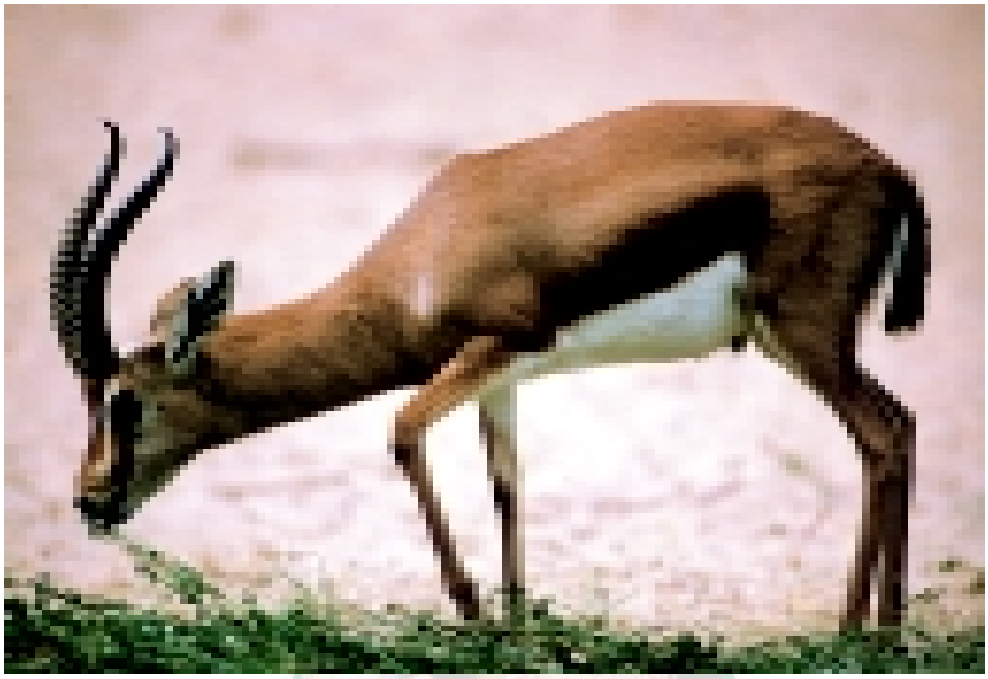

العفري: أصغر حجماً من الأدمي

وارتفاع الكتف من ٥٥- ٦٠سم وطول الذيل ٩سم. ولون العفري رملي داكن مع خطوط وجه واضحة، أما خط الخاصرة فغير واضح. ويوجد في هذا الظبي شعر أسود طويل نسبياً على الركب الأمامية. والقرون جيدة التكوين في كلا الجنسين، وتكون قرون الذكور سميكة مستقيمة، أما قرون الإناث فهي طويلة مستقيمة أيضاً. كما توجد رقمة سوداء خفيفة على الأنف لا يمكن ملاحظتها أحياناً.

ويألف هذا الظبي المناطق المفتوحة والحماد والنجود والسهول القريبة من الجبال، ويعيش بجوار تجمعات أشجار الطلح التي تؤمن له الغطاء والغذاء والظل. وكان يوجد بأعداد جيدة في المناطق المفتوحة كالنجود والحماد في المناطق الشمالية والغربية من المملكة. إضافة لذلك فقد كان يعرف هذا الظبي بانتشاره في مناطق عديدة في الجزيرة العربية وشبه جزيرة سيناء وشمال أفريقيا (الوليعي ونادر ١٩٨٩: ٤٤-٤٨).

صيدها. يصاد الظبي بالفهد والكلب من الضواري، وبالعقاب من الجوارح. ويصاد أيضاً بالحبائل والنار، وذلك بأن توقد النيران في أماكن وجود الظباء فإذا

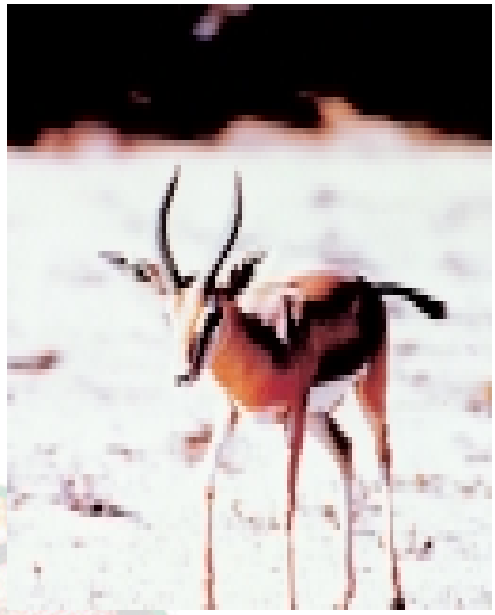

يألف العفري المناطق المفتوحة

رآها الظبي عشيت عيناه وذهل لها ودهش، ولا سيما إذا أضيف إلى النار جرس يحركه الصائد، فإن ذلك يوهن قواه ولا يبقى به حراكاً البتة. والتيس من الظباء إذا طرده الكلب وعراه الخوف عرض له البول والتقطير، ولم يستطع البول مع شدة الحضْر وقوة النقز، ووضع القوائم ورفعها معاً في أسرع من لمح الطرف. فيثقل عدوه ويقصر خطوه ويعتريه البُهْر، فيلحقه الكلب ويأخذه. أما العنز من الظباء فهي إذا اعتراها البول من شدة الفزع قذفت به من غير عناء، وذلك لسعة المسيل وسهولة المخرج، فهي لذلك أدوم من التيس شداً وأصبر منه على المطاولة. والكلب يعرف ذلك بفطرته، فينحو نحو التيس من السرب، ويترك العنز. وكان الأعراب في الجاهلية لا يصيدون الظبي في أول الليل لأنهم يعتقدون أن الظباء من مطايا الجن. والذئب يصيد الظبي ويطلبه (الباشا ١٩٨٣: ٢١٢-٢١٣).

ويعمد القانص الرِجْلي، أي الذي يمشي على رجليه، إلى اختيار المسافة المناسبة والموضع المناسب لطلقته، وهو ما كان فوق الذراع وتحت أعلى الكتف (العضد)، أي في موضع القلب ومقتل الظبي فيموت من فوره. أما إذا أصابه في غير هذا الموضع فقد يتعبه في مطاردته والإمساك به إلا بعد أن يطلق عليه طلقة أخرى مميتة، وربما تمكن من الهرب إلى مسافة بعيدة لا يطوله فيها الصياد ومات بعيدا عنه. ومن جاءت منهم طلقته في ذلك الموضع فهو بواردي ماهر أما من أصابه في غير هذا الموضع فليس بالصياد الماهر. وإذا أصابه في منطقة الكرش، أي وسط البطن، قالوا عن الظبي إنه مكروش، وقد يسلم من مثل هذه الإصابة.

وبوجه عام، يحرص الصياد ألا يأتي الظباء من الجهة التي تهب منها الريح، لأن الظباء لها حاسة شم قوية، فتهرب منه قبل أن يقترب منها، وإنما يكون قنصها وختلها بالاقتراب منها من الجهة المواجهة

للريح، حيث تحمل الريح رائحة الصياد بعيداً. كما يُفضل أن تكون الشمس في ظهر الصياد أثناء اقترابه من الظبي حتى يصعب على الظبي رؤية الصياد، خاصة إذا لم يوجد في المنطقة شيء يتخفى وراءه حتى يقترب من الظبي.

ويفضل صيادو البادية أن يبدأوا يوم قنصهم مع الغلس ويتوجهون إلى مكان مرتفع ويختبئون في ما يسمى الزريبه. ويراقبون الصيد من مكانهم الخفي ويحددون مكان الظباء واتجاه الريح وينتظرون حتى تقترب منهم على بعد المسافة التي تمكنهم من الرمي، خاصة أنهم كانوا يتصيدون على أقدامهم ولم تكن الذخيرة متوافرة لديهم كما هي في الوقت الحاضر. ولم يكن الصياد يتوجه إلى منطقة للصيد فيها إلا إذا وجد فيها آثاراً حديثة للظباء، وذلك مصداق المثل الشائع لديهم «الصيد جرة»، أي أثر، فالأرض التي لا جرة أو أثر فيها للظباء أو فيها أثر قديم تخلو من الصيد ولا طائل من البحث فيها عنه.

كما أنه مما يتعلق بأمور الصيد عند البادية عمل الترشه أو القفده على عقب البندق (المؤخرة الخشبية للبندقية). والترشه أو القفدة تعمل من جلد رؤوس الظباء، وخاصة الريم والادمي، أو من جلد معاصم الوعول (الحجول). وهي نوعان ثابته ومتحركة (قلاعي). وعملونها بسلخ جلد رأس الظبي أو جلد معاصم الوعول ووضعها على مؤخرة البندقية الخشبية وربطها حتى تجف. ثم يقطعون الزوائد منها لتصبح وكأنها رأس ظبي حقيقي ولكن بدون قرون أو آذان. وكلما صاد ظبياً سلخ جلد رأسه ووضعه على سابقه. وإذا زال الشعر من العلوي (الظاهر منها) ازاله وأظهر ما كان تحته حيث يكون محتفظاً بشعره وذلك ما لم يصطد ظبياً آخر. فإذا صاد ظبياً آخر وضعه مكان الذي قدم وأزاله. وهم يفعلون ذلك لعدة أسباب؛ فهي نوع من التفاخر بكثرة الصيد مما يدل على مهارة الصياد وتفننه فيه وإتقانه، وخاصة أمام منافسيه وأمام فتيات القبيلة أو القبائل المحيطة به. كما تعمل الترشه على وقاية الكتف من قوة اصطدام مؤخرة البندقية (العقب) بكتف الرامي عند إطلاق النار. وهي أيضاً وقاية المؤخرة الخشبية للبندقية عند وضعها مرتكزة على الأرض من التلف، خاصة وأن أبناء البادية يحرصون كل الحرص على سلاحهم والعناية به وإبقائه بعيداً عن الخدوش والتلف.

وآخر أسباب ذلك أنه معروف عن الظبي والوعول أن الذكور تفرز رائحة معينة تنتشر مع الهواء يفرزها تيس الظباء مما يعرف باسم الخنتور (وهي فتحة تقع بين العين والخشم ويفرزها الوعل من مصنته، وهي غدة في مؤخرة الرأس (المعذر) تجذب الإناث إلى الذكور حين تشمها). فإذا رأى الصياد الظبي ذكراً كان أو أنثى قبل أن يراه أظهر عقب بندقيته التي عليها ترشه رأس الظبي وهو متخفٍ خلف شجرة أو رمل أو حجر فيعتقد الذكر أنها الأنثى وتعتقد الأنثى أنها الذكر فتقترب مسرعة منه فيصطادها عن قرب. أما إذا كان يصطاد الوعول فيحرص على أن تكون الترشة من معاصمها ويفعل نفس الشيء.

وأنسب أوقات صيد الظباء هو الصباح أو وقت العصر وخاصة لمن يذهب للقنص على قدميه، لسببين مهمين: الأول الجو البارد حتى لا يظمأ القانص والثاني ميزة الوقت حتى يتسنى للقانص أن يجعل الشمس خلفه كلا الوقتين، أي الصيد على الضيحه، حتى لا تتمكن الظباء من رؤيته قبل أن يراها هو، كذلك عليه أن يحدد اتجاه الرياح فتكون مقابلة له، ومن الخطأ أن يقنصها والريح آتية من خلفه، ذلك أن الظباء إذا شمت رائحة الإنسان هربت حتى وإن لم تره شخصياً، ويقول المثل «الظبي يكذب بعينه ويصدق بخشمه».

وعلى القانص أن يبحث عنها في أكثر المناطق اخضراراً، فإذا كانت الأرض معشبة أمكن أن يجدها متفرقة فيها، أما إذا كانت الأرض خالية من العشب، فإن الأودية ومسائل الماء الصغيرة – حيث يكون شجر العوسج والسمر والسلم– هي الأحرى أن تتوافر الظباء فيها. وإذا كان القانص على سيارة أمكنه أن يجدها بسرعة خاصة إذا وجد لها جرة في الأرض فالصيد جرة، كما يقول المثل، فإذا كانت الجرة جديدة ومتكررة ودمنها أخضر ورأى بولها فإنه لا يلبث أن يراها. أما إذا كانت الجرة قديمة ولا جديد من الأثر يظهر في الأرض انتقل إلى منطقة أخرى بحثاً

«الصيد جرّه» آثار الظباء على الأرض

مقيل الظباء صيفاً تحت أشجار العوسج والسلم والسمر

عنها. أما إذا كان القانص على قدميه كما قلنا، وضع الشمس أمامه والريح خلفه ثم عليه أن يكشف الأرض أمامه أولاً بأول وبتؤدة وذلك باختيار أحد النوازي أو الرجوم وارتقائه، ولا يظهر فجأة بكامل جسمه وإنما يظهر رأسه فقط ومعه الدربيل المكبر وينظر إلى الأرض التي أمامه، ولا يستعجل في تغيير اتجاه نظره فربما تكون الظباء رابضة أو واقفة خلف شجرة أو خلف صخرة تخفيها عنه. فإذا لم ير شيئاً بعد وقت وتأكد من خلو المنطقة التي أمامه تقدم وكشف منطقة أخرى لم يتمكن من اكتشافها من موقعه الأول، أما إذا رأى الظباء وكانت بعيدة عنه فإنه ينسحب للخلف قليلاً، ثم يحاول إيجاد أقرب نقطة للظباء يمكنه أن يصل إليها دون أن تراه، ويختار المسار المناسب لها واضعاً في اعتباره الأمرين الأولين الشمس واتجاه الهواء. أما إذا كانت الظباء في منطقة مكشوفة لا يمكن الاقتراب منها ولا يمكن إصابتها إصابة دقيقة ومميته فعليه أن ينتظر إلى أن تغير موقعها إلى موقع أنسب لاصطيادها.

وهناك الكثير من القنوص (القانصين) يعمدون إلى حيلة قد تصيب

وقد تخطئ وهي إطلاق طلقة واحدة -وخاصة إذا كانت بندقية تصل طلقتها إلى مدى بعيد- خلف الظباء فتقوم في بعض الحالات بالهرب في اتجاهه خوفاً من موقع الطلقة دون وعي منها لمكمنه. أما إذا كانت بندقية لـها ترشه (قفده) وكان الوقت وقت هداد الظباء فإن الأمر يكون أسهل له. إذ يظهـر الترشة من خلف الـساتر أو الموقع الـذي يخفي جسمه فتقترب منه آمنة. ويقوم القانص عند اقتراب الظباء منه باختيار التيس، في فصـل الصيف، واصـطياده لأنه الأسمن، والعنـز الحائل في الأوقات الباردة وأيام هداد الـظباء لأنها تكون أسمن، ولا يعمد إلى ذبح العنز الدافع الا اضطراراً وكذلك المغزل التي يتبعها غزالها الرضيـع لأنها تكون ضعيفة. وكان الصيادون من أهل البادية عادة لا يصطادون فوق حاجتهم. ولو حدث ذلك فإنهم يقددون اللحم ويعملون منه ما يعرف بـالشريح (القفر-الجلا) ليبقى معهم صالحاً للأكل لمدة طويلة.

وإذا ما سقط الظـبي فإن القانص يقـوم بشـق بطـنه وإخـراج الكرش والمصـران أولاً لتخفـيف الوزن عنـد حمله، ثانياً لأن الكـرش، بعد موت الظبي تتجمع فيه الغازات وينتفخ ولا يعود القانص قادراً على حمله. وبعد تنظيـفه يقوم بكرعنـته وهي أن يفتح بسكـين فتحة بين عـصب العرقوبين يدخل فيها ذراعي الظبي بعد فصلهما عن الركبة وابقائهما معلقتين في الفخذ بقطعة من جلد الذراعين ويمكنه بذلك أن يدخل ذراعه بين بطن الظبي وأربعته المتشابكة، ويعود بـه إلى أهله أو إلى عنّة المقناص. أما إذا اصطاد أكثر من ظبـي فإنه يقـوم، بعد شـق بطونـها وتنظيفها من الكرش والمصران، بتعليقها في شجـرة تكون بعـيدة عن النسـور والغربان والثعالب والحشرات حتى يعود إليها بالسيارة لينقلها إلى العنة أو إلى أهله، وفـي كلا الحالتـين فإنه لا بد للقانص بعد إخراج الكرش والمصران، أن يرفع الظبي وبطنه إلى أسفل حتى يتسرب الدم المتجمع في الصدر والبطن إلى الأرض وعدم إبقائه متخثراً فيها. وهذه العمـلية أي التنظيف يـقوم بها القانص سواء كان على سيارة أم على رجليه وهي ضرورية، والقنـص على القدمين أكـثر متعة ولذة مـن القنص بالسيارة.

وقد كان الـصياد (القانـص)، في السابق إذا أراد أن يصطاد أكثر من ظبي يعمد إلى البحث عن القايده (العنود)

التي تقود القطيع، فيطلق النار عليها لأن الظباء تتحير برهة من الزمن تمكنه من اصطياد غيرها قبل أن تهرب، وهذه العملية لا تكون إلا في ظباء الريم التي تكون في تجمعات كبيرة تسمى الجميله (وجمعها جمائل). حيث يكون لها قايده، وهي عادة أنثى جمَّاء (بلا قرون). أما الظباء العفر أو الأدم فلا تكون في تجمعات كبيرة، ولا يزيد عددها إذا تجمعت في مكان واحد عن عدد أصابع اليدين. وعادة لا يكون لها قايدة محددة.

كما أن القانص إذا أطلق النار وصاد منها واحدة أو لم يصد فإنه لا يبادر بإطلاق النار أثناء هربها، ولكنه ينتظر دقائق قليلة، ذلك أن من طبيعة الظباء إذا هربت سواء أكان هروبها من إطلاق النار أم من رؤية القانص، أنها بعد الابتعاد مسافة قصيرة تقف مرة أخرى وتعترض في وقفتها وتعيد النظر إلى الصوت أو الشخص الذي هربت منه، وتقول البادية «ذارت منه» وتسمى هذه العملية المعاودة. وإذا وقف الظبي بعد هربه قيل ظبي معاود. وهنا يتمكن البواردي الماهر من إطلاق النار مرة أخرى، والاصطياد منها، وقد يطلق طلقتين أو ثلاثاً قبل أن تهرب مرة أخرى. كما أن الظباء في حالة إطلاق النار عليها للمرة الأولى لا تهرب من صوت إطلاق النار حتى لو صيد منها شيء وإنما تهرب فقط إذا رأت القانص أو حركته عند إطلاق النار، لذلك فإن من يخفي نفسه ولا يثير انتباهها إلى مكانه ربما اصطاد منها اثنين أو ثلاثاً قبل أن تتنبّه للخطر المحيق بها. والصيد على ما فيه من متعة مشتمل على المخاطر والمتاعب ولذلك ارتفع شأن الصياد حتى قالوا في المثل الشعبي «الراس للصياد لو كان غايب»، يعني حفظ الحق لمن قام بالجهد.

يقول الصالحي: وقد يصطادون الظباء بالخربق، وهو نبت كالسم يغشى على آكله ولا يقتله، وقد يصطادها الأعراب الشديدو العدو بالجري خلف الظبي حتى يقبض على قرنه (١٩٨١: ١٠٥).

وقد وصف الشعراء في طردياتهم كلاب الصيد وهي تلحق بالظباء تعقرها وتصكها صكاً وهي شديدة الذعر تمعن في الهرب، معفرة بدمائها صريعة. قال أبو نواس:

رأى ظباء ذُعَّرَ القلوب
نائية عن نظر المهيب

فاعتامها بالشد ذي اللهيب
كأنه من شدة الهبوب
تهوي به خافيتا رقوب
معتمداً لتيسها المهيب
فصكه بزوره الرحيب
صكاً هوى منه إلى شعوب
فقضقض العجب إلى الظنبوب
وانتهس الأرفاغ بالنيوب
يهوى به صكاً على الجنوب
كثائر أمكن من مطلوب
يالك من ذي حيلة كسوب

المهيب: الأسد، الشعوب: الموت، قضقض: انتزع، الظنبوب: حرف الساق من العظم، الأرفاغ: أصل الفخذ، الجنوب: جمع جنب.

ويقول الصالحي: وقد تصاد الظباء بالشرك والحبالة قال أبو خراش:

فوالله ما ربداء أو علج عانة
أقب وما أن تيس ربل مصمم
وبُثَّتْ حبال في مراد بروده
فأخطأه منها كفاف مخزَّم

وقال الفرزدق:

أصابت بأعلى الولولان حبالة
فما أمسكت حتى حسبن بها نفرا

وتصاد الظباء كذلك بضوء النار، لأنها عندما تديم النظر إليها وتتأملها يعشى بصرها ويذهل عقلها، وقد يصحب إيقاد النار تحريك الأجراس فتزداد ذهولاً. قال طفيل الغنوي:

سوى نار بيض أو غزال بقفرة
أغن من الخنس المناخر توأم

كما تصاد الظباء بالكلاب، قال عبيد بن الأبرص:

مراتعة العقبان فرد كأنه
إذا ما تماشيه الظباء نطيح
فهاج له حي غداة فأوسدوا
كلاباً فكل الضاريات يشيح

ويلجأ البعض إلى صيد الظباء حذفاً بالعصا، قال امرؤ القيس:

وتعدو كعدو نجاة الظباء
أخطأها الحاذق المقتدر

وربما اتخذ القانص ناقة يستتر بها تسمى الدرية، ثم يتوغل في المراعي ويستمر متخفياً وراءها حتى تتعود الظباء النظر إليه، وبعدها يدنو من الظبي ويرميه عن كثب، قال أبو الطمحان:

حنتني حانيات الدهر حتى
كأني قانص أدنو لصيد
قريب الخطو يحسب من يراني
ولست مقيداً أمشي بقيد

وتصاد الظباء أيضاً بالمخدرات والبنج من ذلك ما رواه صاحب البيزرة عن ابن الداية أن المعتصم أوغل يوماً في الصيد وحده، فبصر بقانص يصيد ظباء

فاستدناه، وقال: حدثني عن أعجب ما رأيت في صيدك، فقال: خربقتُ المشارع التي تـردها الظباء فلـما شمت الخربق رجعت عطاشاً ولم تشـرب، ثم عادت من غد فانصرفت أيضاً عطاشاً، ثم عادت في اليوم الثالث بأجمعها. فلما جهدها العطش رفعت رؤوسها إلى السماء فأتاها الغـيث. فـما انصـرفت حتـى رويت وخاضت في الماء. وخربقـها أي وضع فيها خـربقاً، وهو نبات مخدر كـالسم يغشى عـلى آكله ولا يقتلـه. وقال أبو نواس في طردية ذكر فيها الظباء، ومطاردة كلبه لها:

لـما رأى الـعـلـهـب فـي أقـواطـه
سـابـحـة وقـر فـي الـتـبـاطـه
كـالـبرق يـزري المـرء بـالـتـقاطـه
مـثـل قَـلّـيٍ طـار فـى أَنـفـاطـه

العلهب: تيس الظباء، الأقواط جمع قوط وهو القطيع، سابحة القلى ما يقلى على النار، الأنفاط: الفقاقيع المتناثرة من الزيت.

وقال أبو نواس في طردية أخرى:

يـارب خـرق نـازح حـديـب
غـزوتـه بمـخـطـف وثـوب
مـضمـر الكـشحـين كـاليـعسـوب
يـعلـو الأكـام فـي ذرى الكـثـيـب
وتـارة يـنـحـط فـي الـغـيـوب
كـعوم سـفن الـبـحر فـي الجنـوب
رأى ظـبـاء ذعـر الـقـلـوب
فـاعتـاقـها بـالـشـد ذي اللـهـيب
كـأنـه فـي شـدة الـهـبـوب
تـهـوى بـه خـافـيـتـا رقـوب
مـعـتـمـداً لـتـيـسـها المـهـيـب
فـصـكـه بـزوره الـرحـيـب
صـكـا هـوى مـنـه إلـى شـعـوب
فقـضقـض العجـب إلى الطـنبـوب

الخرق: الأرض الواسعة، النازح: البعيد، الحديب: المرتفع من الأرض، المخطف: الطاوي الحشا، اليعسوب: ذكر النـحل، الغيوب: المـطمئن من الأرض، اللهيب: كناية عن الأسـد، الخافيتان: مثنـى خافية وهي ريش ما بعـد المنـكب، الرقـوب: العقـاب، معتمداً: قاصداً، المهيب: ذو الهيبة، شعوب: الموت، القـضقضة: صوت كسر العظام، العجب: أصل الذنب، الطـنبوب: العـظم اليابـس من قدام الساق.

ولقد كانت صحراء المملكة تعج بأعداد كبيرة من الظباء التي أمكن مشاهدتها بواسطة المسافرين عبر شبه الجزيرة العربية في أوائل القرن الحالي، ومع ذلك فإن جميع المصادر والمعلومات تشير إلى أن هذه الحيوانات قد تعرضت للمطاردة والقتل دون هوادة منذ

استخدام الأسلحة الحديثة في المملكة العربية السعودية مع بداية التحولات الكبيرة التي صحبت هذا القرن. وقد ذكر داوتي Doughty, الذي تجول عبر الجزيرة العربية في القرن التاسع عشر، حادثة قام فيها أحد أفراد الفريق المصاحب له بمهاجمة مجموعة هائلة من الظباء، وأصاب بطلقات مسدسه أعداداً منها، وأنه قدم لحم الظباء ذلك المساء طازجاً في كل مخيمات ضباط أمن الحج. وبعد مضي عقود من الزمان على جولة داوتي هذه، أورد فيلبي Philiby ما لاحظه من انحسار الحياة الفطرية، حيث ذكر نصاً ورد فيه «ربما تمكنا من رؤية ستة من الظباء التي كانت في السابق تبلغ الآلاف، والتي وجدت الآن أن تعايشها بجوار الإنسان أصبح أمراً مستحيلاً».

هذا وقد شكل دخول السيارات والمركبات للمملكة ضربة نهائية لوجود الظباء. وقد كتب ثيسجر Thesiger الذي طاف عبر الربع الخالي والمناطق الجنوبية للمملكة عام ١٩٥٩م ما يلي «لقد كانت فرق الصيد تطوف السهول بالسيارات بحثاً عن الحيوانات، وتعود اللواري محملة بالظباء التي طوردت وذبحت، وبمرور الزمن انفرط تماماً عقد التعايش السلمي الذي كان سائداً بين الإنسان والحياة الفطرية. واندثرت رياضة القنص التقليدية، التي كانت تمارس بكلاب الصيد والخيول العربية الأصيلة، وتشكل جزءاً من تراث المملكة، لتحل محلها وسائل الصيد الحديثة بالسيارات والبنادق الطويلة المدى، مما أدى إلى تدهور الحياة الفطرية تدهوراً لم يسبق له مثيل» (الحبيبي ١٩٩١: ١-٢).

ذكرها في مأثور القول والأدب. ورد ذكر الظباء كثيراً في الأدب العربي. فمما ورد عنه في الأمثال قولهم «آمن من ظبي الحرم» و«من الظبي بالحرم». و«به لا بظبي أعفر» (والأعفر الأبيض المشوب بحمرة)، أي لتنزل به الحادثة لا بظبي يضرب عند الشماتة. و«به داء ظبي»، أي أنه لا داء به، كما لا داء بالظبي، يقال إنه لا يمرض إلا إذا حان موته. وقيل يجوز أن يكون بالظبي داء لكن لا يعرف مكانه فكأنه قيل به داء لا يعرف. و«ترك الظبي ظله»، والظل ههنا الكناس الذي يستظل به من شدة الحر فيأتيه الصائد فيثيره فلا يعود إليه، فيقال «ترك الظبي ظله»، ويضرب في هجر الرجل صاحبه. و«جاره لحم ظبي» و«أنزى من ظبي»، يعني أنه يفتح بعضه بعضا كما أن الظبي إذا نزا حمل غيره على ذلك. و«الذئب يأدو للغزال» يقال: أدوت له آدو وأدوا،

إذا ختله يضرب في الخديعة والمكر. و«أصح من ظبي»، و«غزيل فقد طلا»، غزيل تصغير غزال، أي ناعم فقد نعمة، يضرب للذي نشأ في نعمة فإذا وقع في شدة لم يملك الصبر عليها. و«أغر من ظبي مُقمر» وذلك أن الخشف يغتر بالليل المقمر فلا يحترز حتى تأكله السباع؛ ويقال بل معناه أن الظبي صيده في القمراء أسرع منه في الظلمة لأنه يَعْشى في القمراء. و«تركتهم في صيصة الظبي» والصيصة موضع الظبي الذي يكون فيه، وقيل هي كفته التي يصاد بها. و«أنوم من غزال» لأنه إذا رضع أمه فروى امتلأ نوما. وأورد الدميري المثل القائل «أغزل من غزال» ومغازلة النساء محادثتهن. ومن محاسن الشعر الذي قيل في الظبي قول المتنبي:

بدت قمرا ومالت خوط بان
وفاحت عنبرا ورنت غزالا

وقد أكثر الشعراء من ذكر الظباء وأوصافها، والتشبيه بها في طول العنق ونصاعة اللون. وراقهم فيها تناسق الأعضاء ورشاقتها. فشبهوا بها كل ما وجدوه رائعاً في نظرهم، جميلاً في نفوسهم. ورددوا في تشبيهاتهم هذه جوانب معينة من هذا الحيوان. أما ذكرها مقرونة بالأطلال فقد وقف الشعراء عنده وقفات طويلة، قال العرجي:

خليلي عوجا نحي نباعا
وخيماته ونحيي الرباعا
تبدلت الأدم من أهلها
وعين المها ونعاما رتاعا

وقال الأخطل:

هل عرفت الديار يا ابن أويس
دارساً نؤيها كخط الزبور
بُدِّلَتْ بعد نعمة وأنيس
صوت هام ومكنس اليعفور

النؤي: الحفير حول الخيمة، الهام: جمع هامة، وهي البومة. وقال عمر بن أبي ربيعة:

منازل الحي أقوت بعد ساكنها
أمست ترود بها الغزلان والبقر

وقال عبيد الله بن قيس الرقيات:

استبدلت بالظباء والبقر العِيـ
ـن خلاف العقائل الخرد

العقائل (واحدها عقيلة): الكريمة المخدرة، الخرد (واحدها خريدة): البكر. وقد وجد الشعراء في الظبي نموذجاً محبوباً لتشبيه المرأة به قال الفرزدق:

ديار بالأجيفر كان فيها
أوانس مثل آرام الصريم

وقال ذو الرمة مشبهاً مي في بياضها بظبية:

براقة الجيد واللبات واضحة
كأنها ظبية أفضى بها لبب

الجيد: العنق، اللبات: مدار أسفل العنق إلى أعالي الصدر، واضحة: بيضاء، أفضى بها: صيرها في فضاء، أي في سعة واستواء، اللبب: اسم مكان في أول الدهناء. وقال كثير عزة:

بما قد ترى سعدى به وكأنها
طلا راشح للبارحات خذول

الخذول: الظبية. وقال عمر بن أبي ربيعة يشبه عيني صاحبته بعيني ظبية انقطعت عن أمثالها:

أعالي تصطاد الفؤاد نساؤهم
بعيني خذول مونق الجم مطفل

مونق: معجب، مطفل: ذات طفل. وقد استحسن الشعراء في الظبية طول العنق، فشبهوا به عنق المرأة وراقهم فيها صفاء اللون ونصاعته وبياضه، فأضفوه على النساء اللواتي أعجبوا بهن، قال ذو الرمة:

أرى فيك من خرقاء ياظبية اللوى
مشابه جنبت اعتلاق الحبائل
فعيناك عيناها وجيدك جيدها
ولونك إلا أنها غير عاطل

وقال عَدِي بن الرقاع يشبه عيني حبيبته بعيني ظبية تقيم في قرية جاسم في بلاد الشام:

وكأنها بين النساء أعارها
عينيه أحور من جآذر جاسم
وسنان أقصده النعاس فرنقت
في عينه سنة وليس بنائم

وقال عمر بن أبي ربيعة:

منعمة أهدى لها الجيد شادن
وأهدت لها العين القفول بغوم

منعمة: تعيش في نعمة، والبغوم: أراد بها الظبية. وقال مجنون ليلى:

فما عوهج أدماء خفاقة الحشا
لها شادن يدعوه وتراً خوارها
رعت ثمر الأفنان ثم مقيلها
كناس لدى عيناء عذب ثمارها
بأحسن من ليلى ولا مكفهرة
من المزن شق الليل عنها ازدرارها

العوهج: الظبية الحسنة اللون الطويلة العنق، الكناس: بيت الظبي، المكفهرة: السحابة التي تراكب بعضها على بعض. وقال ذو الرمة:

تذكرني مياً من الظبي عينه
مراراً وفاها الأقحوان المنور
وفي المرط من مي توالي صريمة
وفي الطوق ظبي واضح الجيد أحور

وقال الفرزدق:

وبيض كآرام الصريم ادريتها
بعيني وقد عار السماك وأسحرا
وسود الذرى بيض الوجوه كأنها
دمى هكر ينضحن مسكاً وعنبرا

أدَريتها: ختلتها، عار: تحير، السماك: نجم، أسحر: دخل في السحر، هكر: مدينة بنجران. وقال جرير:

نظرت إليك بمثل عيني مغزل
قطعت حبالتها بأعلى يليل

يليل: اسم مكان. وقال الراعي النميري:

كأنما نظرت نحوي بأعينها
عين الصريمة أو غزلان فرتاج

وقال أرطأة بن سهيّة:

مررت على حدثى برمان بعدما
تقطع أقران الصبا والوسائل
فكنت كظبي مفلت ثم لم يزل
به الحين حتى أعلقته الحبائل

وقال المنخل اليشكري:

ولثمتها فتنفست
كتنفس الظبي البهير

قال أبو نواس:

أربع على الطلل الذي انتسفت
منه المعالم أنجم النحس
واستوطنته العفر قاطنة
ولقد يكون مرابع الأنس

وقال أبو نواس أيضاً:

ألا حي أطلالاً بسيحان فالعذب
إلى برع فالبئر بئر أبي زغب
تمر بها عفر الظباء كأنها
أخاريد من روم يقسمن في نهب

وقال أبو نواس أيضاً:

كأن إبريقنا ظبي على شرف
قد مد منه لخوف القانص العنقا

وقال مسلم بن الوليد (صريع الغواني):

دار الغواني بدلت آياتها
حور المها وشوادن الغزلان

وقال إسحق بن إبراهيم الموصلي:

كأن أباريق المدام لديهم
ظباء بأعلى الرقمتين قيام

وقال بشار بن برد:

وجيد يشبه الدر
كجيد الريم سلهوب

وقال علي بن الجهم:

مثل القضيب إن هز عطفيه
ومثل الغزال في حسن جيد

وقال أبو الشيص الخزاعي:

فالجيد منها جيد جازئة
تعطر إذا ما طلها البرد

وقد لاحظ مسلم بن الوليد تأخر الظبية المطفلة عن القطيع لتراعي خشفها ولتدفعه ببطء مع القطيع، وهي حينئذ تشعر بذعر وخوف من غائل ينفرد بولدها، فشبه حال محبوبته المذعورة عند وصولها للقائه بحال هذه الظبية قال:

أتتني على خوف العيون كأنها
خذول تراعي الخشف مشعرة ذعرا

وأكثر الشعراء من تشبيه معشوقاتهم بالظباء لجمال صفاتها وتناسق أعضائها. قال بشار بن برد:

ريم أغن مطوقاً ذهبا
صفر الحشا بيض ترائبه

وقال أبو نواس:

البدر صورته والشمس جبهته
وللغزالة منه العين واللبب

وقال أيضاً:

مستيقظ اللحظ في أجفان وسنان
قبلت فاه فحياني بريحان

وقال أبو تمام:

فتأبدت من كل مخطفة الحشا
غيداء تكسى يارقاً ورعاثا
كالظبية الأدماء صافت فارتعت
زهر العرار الغض والجثجاثا
حتى إذا ضرب الخريف رواقه
سافت برير أراكه وكباثا

اليارق: نوع من الحلي، الرعاث: القرط، غيداء: طويلة العنق، سافت: شمت وأكلت، برير وكباث: من ثمر الأراك. وقال الحارثي عبد الملك بن عبد الرحيم يرثي أخاه:

فما أم خشف أودعته قرارة
من الأرض وانساحت لترعى وتهجعا
خليس كلون الأيهقان ابن ليلة
أمر قواه ما ينوء فيركعا
ويهتز في الممشى القريب كأنه
قضيب من البان القوي ترعرعا
فظلت بمستن الصبا من أمامه
تنغم في المرعى إليه ليسمعا
إذا أغفلت نادت وإن ناب نبأة
على سمعها تذكر طلاها فتربعا
فخالفها عاري النواهق شاسب
أخو قفرة أضحى وأمسى مجوَّعا
فأنهل منه بعد عَلّ ولم يدع
لملتمس إلا شريحاً مزعزعا
فجاء برياه نسيم من الصبا
صباحاً ودر جر ثكلاً فأوجعا

الخليس: الأحمر أو الذي خالط بياضه سواد، الأيهاق: عشب يطول وله وردة حمراء. تربع: تتوقف، النواهق: العظام الشاخصة بجوار العين، الشاسب: الضامر اليابس، المزعزع: المبدد.

وقال زهير:

بها العين والآرام يمشين خلفه
وأطلاؤها ينهض من كل مجثم

وقال قيس بن الخطيم يشبه جيد امرأة بجيد الريم:

وجيد كجيد الريم صاف يزينه
توقد ياقوت وفضل زبرجد

وقال عبيد بن الأبرص مشيراً للظباء العفر:

أوطنتها عُفْرُ الظباء وكانت
قبل أوطان بُدَّنٍ أتراب

وقال الحارث بن حلزة:

ومدامة قرعتها بمدامة
وظباء محنية ذعرت بسمحج

فكأنهن لآلىء وكأنه
صقر يلوذ حمامه بالعوسج

وقال طرفة مشبهاً محبوبته بظبية تركت صويحباتها:

خذول تراعي ربرباً بخميلة
تناول أطراف البرير وترتعي

وقال أيضاً:

وإذ هي مثل الريم صيد غزالها
لها نظر ساج إليك تواغله

وشبه الشعراء الشعبيون الركائب من الخيل والإبل بالظباء في جمالها وسرعتها. قال عبدالله بن فرحان القضاعي:

فزيز ريمٍ طالعت كلب صياد
مع سهلةٍ صحوا سهالٍ سراميد

فزيز: قفز ونز، صحوا: مستويه، السهلة: الأرض الرملية اللينة، سراميد: شاسعة.

ووصفوا المرأة بالغزال بما لا يحصى من القصائد فلا تكاد تخلو قصيدة غزلية من ذكر الغزال موصفاً به المتغزل بها جيداً ولفتة وعيناً، وهذه نماذج منها على سبيل المثال لا الحصر. قال محسن بن عثمان الهزاني:

والعين خرسا كنها عين يشبوب
وجدايلٍ من فوق الامتان سكاب

اليشبوب: من أسماء ولد الظبي في مرحلة ما بعد الخشف. وقال عبيد بن هويدي الدوسري:

أنا ما بلاي الا غزالٍ من الغزلان
ذبحني وعلق في سراجيفي رماحِ

السراجيف: الشراسيف وهي أسفل عظام الصدر ويقصد قلبه أو كبده. وقال محمد بن حمد بن لعبون:

خشفٍ دواه دْواي لشفاه شافي
ومن الاشافي سال ما ورد عصار

رنقين به من راعيات الشعاف
ريمٍ ضنا ريمٍ بالاقفار ما دار

رنقين: صنفين، ضنا ريم: ريم ولد ريم.

وقال خالد بن عقاب الكسر العتيبي:

عين العنود وطالعت زول تقّاق
في عثعثٍ ما دوّجت فيه الأوناس

تفاق: الرامي، العثعث: الأرض اللينة، الأوناس: الناس. وقال مشعان بن مغيليت بن هذال:

أبو خدودٍ كنهن فلق جمار
عينه وعنقه مثل عنق الغزال

فلق: شق، جمار: جمارة قلب النخلة الأبيض الناصع. وقال ضويحي بن فهيد الهرشاني:

عين عـنزٍ تـقود الـصيد دقّـه وجلّـه
عذبـت ناقـل البنـدق سريـع الولام
ما ارتجي فـي ملاقيفه ولا مـدهل له
حذرة الصيد ما تعـطي عليها المرامي

الولام: سرعـة التجهز للـتصويب واطلاق الـنار، مـلاقيـفه: المـلاقيـف المخاتل، مدهل: المدهل المراب أو المكان الذي يتردد فيه. وقال مبارك بن عيسى الغريس:

عين الـعنـود اللـي ربت بـالسـهال
مـا ذيره مـن مـربـضه واحـد جـاه
السهال: جمع سهلة الأرض اللينة المستوية، ذيره: جفله. وقال عبدالله بن هويشل الدوسري:

الـلى حـلـيه فـي نـفود المـعـانيـق
قـايد خـشـوفٍ بالـغـراميـل تبـراه
فـي خـبـة نـوارهـا كـالمـشـاريـق
مـا فيـه ياكـود اشقـح الريم يـرعاه
والعين عـين اللى وخص بـالدراريق
قايـد خشوف الـصيد غـلت مـعلاه

حلـيه: مثـله، نـفود المعـانيق: مـوضـع، الـغـراميـل (جـمـع غرمول): الحبل المتقطع من رمل النفود، تبـراه: تجري بـإزائها، خـبه: أرض منخفضة، المشاريق: الزهـور المتفتحة المشرقة، ياكود: غـير، اشقح الريم: الـريم الأبيـض السـاطع، وخـص: اختفى، الدراريق: جمع دارق أو مدرق وهو المختل الذي يخـتل منه الصيد. وقال فهيد بن عبدالله المجماج:

يـامـغزلٍ مـربـاه روس الـغرامـيـل
مـا ذاره الـقـنـاص يـومٍ بمـرمـاه
يـازين عـنقـه بـين هكـالعـثاكـيـل
وعـواتقٍ كـن الـقراطـيـس حلـيـاه

ذاره: جفله، العثاكيل: شعر الرأس المتعثكل المجعد، حلياه: مـثله حلاوة. وقال محمد بن أحمد السديري:

مـثل الـغـزال مذيّـره شـوف تفـاق
لى شبـهرت بالعين والجـسم ممشوق
عاود وشخّص واسبل الرمش باطراق
عين الفريد الـلي من الريح مصفوق

تفـاق: رامي، شـبهرت: نـظرت بتخوف وتحـفز، شخص: نظر بتمـعن وتفحص، مصفوق: مذار وجافل. وقال عبد العزيز بن عيد الهذيلي:

لـو دش مع فـرق الظبا مـا تهـابه
مـتـنـفلٍ بـالـزين ظـبي الـغرامـيـل

دش: دخل، مـتـنـفل: مـتـمـيز، الغراميل (جمـع غرمول): حبل الرمل المتقطع. وقال محسن بن علي التميمي:

ياصـويحبـي ما هـناك شيٍّ بـلاشي
نـبغـى جزانـا يـاعـيـون الوحـيـشه
يـاعـين عـنـزٍ ذيّـره حـس ماشـي
تِـنِـزّ لـى ماط الـهوى عود هـيشه

الوحيشة: الشاهين الوحشية، ماط: حرك، عود هيشه: العود اليابس البالي. وقال محمد بن عيسى الرديعان:

والعين عين غزيل الروض لى فاق
دلى يفزّز والطرب فيه ساقه

دلى: صار، يفزز: يقفز. وقال عادي بن محمد الرمالي:

مثل عنق اللى ليا طالعت شوف
جافله وفروق الأروام تبرى له
ناقرٍ له من هوى الشرق عاصوف
مرتعه بارضٍ بياح ومقياله

ليا: إذا، شوف: أزوال، تبرى له: تباريها في الجري، ناقر له: أي في مواجهتها، عاصوف: هواء، بياح: واسعة. وقال عبد العزيز بن عبدالله الجريفاني:

العنق ياعنق ريميه
لى سمعت الرمي من يمه

من يمه: من جهتها. وقال نمر بن صنت العتيبي:

إدمية حدها الرامي على القيعه
الشمس قدامها والريح من يمه

القيعه: القاع الأجرد، يمه: في مواجهتها. وقال ضويحي بن فهد الهرشاني:

ألا ياغزالٍ فوق خده ثلاث رقوم
والى دش مع صيد الخلا ما يهابنه

ثلاث رقوم: ثلاث نقاط من الوشم، الخلا: البر. وقال سليمان بن ناصر بن شريم:

والعين خرسا كنها عين يشبوب
سودٍ هديها ما عليها جنابه

يشبوب: ولد الظبي، جنابه: علامة. وقال عبدالله بن عويويد الباهلي:

غزالٍ نطحني شقّة النور سراح
يقود الجوازي واول الصيد يتلنه

نطحني: قابلني، شقة النور: وقت الفجر. وقال محمد بن عبد العزيز العمار:

عنز ريمٍ تمتّع في مفيض المسايل
فيه حسن الطبايع والرضا والهدايه

وقال محسن بن عثمان الهزاني:

مريت بخشيفات ريمٍ يخوضون
سيلٍ وللقلب المشقى يريعون

وقال إبراهيم بن راشد الشعيفان:

على هنوفٍ شفتها بس نوبه
عين العنود اللى يقود الجوازي

الهنوف: الفتاة تهانف زوجها أو حبيبها والمهانفة ضحكة يمتزج فيها المزاح بالإغراء والدلال كأنها ضحكة المستهزئ، الجوازي: الظباء. وقال عبد المحسن بن حمود الهذيلي:

العين عين اللى ورد جو جوبه
متذيرٍ من ناقلين الجهازي

وقال سالم اللهيفي:

يـاغزالٍ نـطحـني مـا لزيـنه تـهايـا
فاضح ظبا الـضاحي بجيده وجودي

واحـلولاه يـالامـاه والعـمـر فانـي
ضارى الـدجا مـن نور خـده طنايـا

نطحنـي: قابلني، تهايـا: شبيه أو مثيل. وقال محمد العرفج:

الضاحي: موضع، ضارى الدجا: يقصد شعر رأسها الأسود.